كتاب بغية المرتاد

في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية

وهو المنعوت ﴿ بالسبعينية ﴾

﴿ تأليف ﴾

شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني المتوفي سنة ٧٢٨

طبع بمعرفة صاحب الهمة العلية * والسيرة المرضية * حضرة الفاضل

(الشيخ فرج الله زكى الكردي الازهري)



وذلك بمطبعته ﴿ مطبعة كردستان العلمية ﴾ بدرب المسمط

بملك سعادة المفضال أحمد بك الحسيني بجمالية

مصر القاهرة سنة ١٣٢٩ هجرية

مقدمة

—﴿ لبعض الافاضل ﴾—

الحمد لله في الاصل ما نصه فيه جواب الشيخ الامام شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية عن العقل وأنواع أشخاصه وأقوال الناس فيه وابطال قول من جعل العقل جوهرا قائما بنفسه أو ملكا مبدعا لكل ما سواه من العقول والنفوس والافلاك والنفوس البشرية والعناصر والمولدات وغير ذلك مما تقوله الفلاسفة كما قال بعضهم مشيرا الى ذلك في منظومة

فوق عشر تحت سبع * بين خمس لي محلّ

فانه في شرعة المسلمين عبارة عن عرض قائم بغيره وضمنه الرد على ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة والقرامطة والجهمية ويتضمن الرد على ابن عربي وابن سبعين وغيرهما ممن نحا نحوهما (وتحته) علقه عبد الله بن سعيد السكندري عفى الله عنه انتهى ولله الحمد * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما * وعبد الله بن سعيد هذا هو الشهير بابن أردبين وهو صاحب الشيخ تقي الدين سامحه الله تعالى فيما جناه على الشيخ من تصرفاته التي أنتجت فتنا كان غنيا عنها كان ولا شك انه لا يقصد ضررا للشيخ ولكنه كان يبلغه ما يوجب له أن يقول فيقع ما يسعى في سد ذلك الخرق ولمّ ذلك الشعث واصلاح الشعب ولم يزل المذكور كذلك الى ان فارق الحياة الدنيا وكان خيرا

كتاب بغية المرتاد

في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد من تأليف شيخ الاسلام وامام الأئمة الاعلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه * وهو المنعوت بالسبعينية بدأ فيه بتدبر كلام الغزالى متعقبا عليه ذاكرا ما يرد على كلامه ومعرضا بمن يقول مثل ذلك وموضحا مأخذ ذلك وما فيه من الخروج عن مناهج الشريعة وشواهد ذلك ممثلاله بصورة * وبالله تعالى التوفيق (كان على الاصل ما صورته)

(جواب) المسائل الواردة من اسكندرية في بيان أصول المقالات الجهمية الاتحادية الحلولية الفرعونية وما يتصل بذلك من قواعد المتفلسفة القرامطة الباطنية ونحوهم من أهل الالحاد وما أدخلوه في تحقيق التوحيد والايمان بالله ومعرفته من الفساد وحسبنا الله ونعم الوكيل

(هذه مقدمة ليست من كلام شيخ الاسلام) وهي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

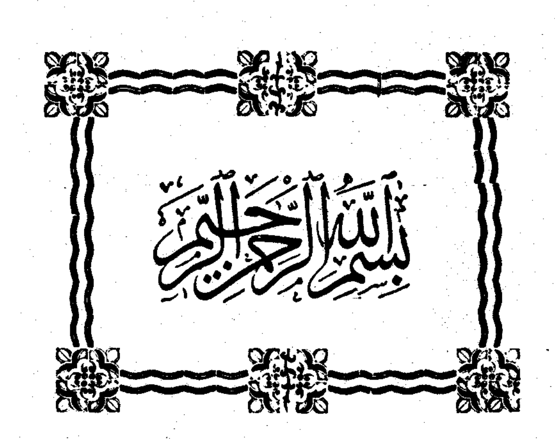
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الولي الحميد * الرفيع الدرجات ذي العرش المجيد * والحمد لله رب كل شيء * محيي كل ميت ومميت كل حي * ثم يعيدهم كما بدأهم واليه النشور * والحمد لله الذي اصطفى من ملائكته رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير * والحمد لله الذي اجتبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مما خلق ختم به الانبياء وأكرمه بجعل لواء الحمد بيده يوم القيامة تحته آدم فمن دونه وشرفه بالشفاعة العظمى في اليوم المشهود أقرب الخلق وسيلة الى الله الملك الحق*
والحمد لله على ما هدى به من الضلالة وبصر به من العمى وأنقذ به من الغي بالكتاب العزيز والسنة النبوية المشتملين على الدين القويم*أحمده وله الحمد من قبل ومن بعد *وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد*وأشهد أن محمدا عبده ورسوله * وخليله وحبيبه الناطق الصادق أعلم المخلوقين بالخالق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما قام داع بدعوته وما عمل متبع بكتاب ربه وسنته وسلم

﴿ وبعد ﴾ فان في الاعتصام بالكتاب والسنة ما شاء المعتصم المتبع من سعادتي الدنيا والآخرة وبقدر مباينتهما يقع الخلل بذلك ولا ريب في ان الفرقة الناجية هم الذين يتوخون أن يكونوا على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير القرون الذي ابتعثه الله تعالى فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما صح عنه عليه الصلاة والسلام ثم حدثت البدع شيئا بعد شيء قولا وعملا فلا ترى الا منكرا معروفا أو معروفا منكرا ونجم دعاة الضلالة يدعون الى النار فاستجاب لهم من سبق عليه بذلك الكتاب ان يكون من أهلها*فمن خارجي مستبيح لدماء الامة وأموالها *ومن شيعي مزر على الصحابة وانما يزرى بجهله لو عقل على من * والاهم براء من موالاته وكالغالية منهم والمالكة كالنصيرية والاسماعيلية وكالقرامطة الباطنية* ومن جهمي منكر لدلالات نصوص

الكتاب والسنة دافع لذلك عنادا منه فقط * ومن معتزل ملحد فى أسماء الله تعالى يقول على الله تعالى من عند نفسه متبعا لهواه بغير هدي الله تعالى * ومن متفلسف عدو للشرائع بكيدها بغيا وعنادا لها والله يتم نوره ولو كره الكافرون الى غير ذلك ممن ذكرنا * ثم اختلطت الفرق فظهر اخلاط من الفرق مرجعها الى من ذكرنا فمن أضرها على الاسلام الفرقة القائلة بوحدة الوجود * وهذه المقولة فاعلموا رحمكم الله تعالى لها فى الفلاسفة اليونانيين أصل قديم وأثر عظيم كما ستراه داخل الكتاب ان شاء الله تعالي وهذا موجود فى كلامهم مسطور في دواوينهم وقد غلبت هذه المقولة على أهل التصوف الامن شاء الله تعالى منهم فصنفت فيها الكتب وتلقاها قوم يؤمنون ذلك وصار القائمون بها هم أهل الطريق وربما قيل لمن انتمى في الضلالة لديهم شيخ التحقيق وانتصب الى الدعاء الى ذلك منهم شيوخ الالحاد هذا على ما ينسب لهم في مصنفات تعزى اليهم على تقدير صحتها الى من عزيت اليه بدعائهم فيها الى وحدة الوجود والاتحاد وسترى أسماءهم داخل التأليف والرد على المقولة لا انا لم نحقق من صح عنه القول بذلك الا من قبل ما اشتمل عليه تأليف يعزى اليه ولهذا فلقائل ان يقول لا نسلم عزو ما ذكرت الى من قصدت الا بطريقه فلهذا قدمنا ما ذكرنا وقد وجدت تأليفا قديما من كلام شيخ الاسلام علم العلماء الاعلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى رضى الله عنه بخطه المبارك ثم نسخة كتبت منه وقوبلت على خطه على ضعف في وضع خطها تنعت بالسبعينية تكلم فيها رضى الله عنه على أصول مقالات الجهمية والحلولية والاتحادية الفرعونية وما يتصل بذلك من قواعد المتفلسفة والقرامطة الباطنية مما أدخلوه فى تحقيق التوحيد والايمان بالله تعالى ومعرفته من الفساد ونحوه من الالحاد فلذلك وسمت التأليف عند كتبه نيابة عن مقامه رضى الله عنه جاعلا اسمه كما تقدم بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة الباطنية أهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد

وبالله تعالى التوفيق



سئل شيخ الاسلام علم العلماء الاعلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرانى رحمهم الله تعالى * ماتقول السادة العلماء أئمة الدين في الحديث المروى الذى لفظه أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتى ماخلقت خلقا أ كرم علىّ منك فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب والعقاب والحديث الآخر الذى لفظه كنت كنزاً لا أعرف فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفونى فبي عرفوني والحديث الثالث الذي لفظه كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ماعليه كان هل هذه الأحاديث صحيحة أم سقيمة أم بعضها صحيح وبعضها سقيم وما الصحيح منها وهل فيها زيادة الراوي العدل أم لا وما معناها على الاطلاق وكان بخط الكاتب فى الحاشية مانصه رواية الشيخ والمقصود بيان ما بنى على هذه الأحاديث من مقالات القائلين بوحدة الوجود وما يتصل بذلك من أقاويل الفلاسفة والقرامطة الباطنية ونحو ذلك وبيان الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق أجاب رضي الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين أما الحديث الأول فهو باللفظ المذكور قد رواه من صنف فى فضل العقل كداود بن المحبر ونحوه واتفق أهل المعرفة بالحديث على انه ضعيف بل هو موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الحافظ أبو حاتم البستى وأبو الحسن الدارقطنى والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي وغيرهم ان الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه

وسلم في العقل لاأصل لشيء منها وليس في رواتها ثقة يعتمد فقد ذكر أبو الفرج بن الجوزى في كتابه المعروف عن الأحاديث الموضوعات عامة ماروي في العقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى القزاز عن الحافظ أبي بكر الخطيب حدثني محمد بن علي الصوري سمعت عبد الغني ابن سعيد الحافظ يقول أنا أبو الحسن علي بن عمر يعني الدارقطني كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد أخر وسرقه سليمان بن عيسى السجزى فأتى بأسانيد أخر قال وهو على ماقال الدارقطني وقد رويت في العقل أحاديث كثيرة ليس فيها شيء يثبت . منها مايرويه مروان بن سالم واسحق بن أبي فروة وأحمد بن شنقير ونصر بن طريف وابن سمعان وسليمان بن عيسى وكلهم متروكون وقد كان بعضهم يضع الحديث ويسرقه الآخر ويغير اسناده فنزر التطويل بذكرها (قلت) ومع هذا فقد روى أبو الفرج هذا الحديث من طريق يوسف بن محمد عن سفيان الثوري عن الفضل بن عثمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله العقل قال له قم فقام ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أقعد فقعد فقال ماخلقت خلقا هو خير منك ولا أكرم علي منك ولا أحسن منك بك آخذ وبك أعطي وبك أعرف وبك الثواب وعليك العقاب قال أبو الفرج هذا حديث لايصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحيي بن سعيد . الفضل بن عثمان رجل سوء وقال ابن حبان وحفص بن عمر يروى الموضوعات لا يحل الاحتجاج به وأما سيف فكذاب باجماعهم ورواه أيضا من كتاب أبي جعفر العقيلي من حديث سعيد بن الفضل القرشي حدثنا عمر بن صالح العجلي عن أبي غالب عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي ماخلقت خلقا هو أعجب الي منك فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب قال أبو الفرج هذا حديث لايصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ان سعيداً وعمراً مجهولان قال وقد روى من طريق علي وأبي هريرة وليس فيهما شيء يثبت * قال أحمد بن حنبل هذا الحديث موضوع ليس له أصل قال العقيلي لا يثبت في هذا الباب شيء فهذا اتفاق أهل المعرفة على بطلان هذا الحديث مع ان أكثر ألفاظه لما خلق العقل قال له وهذا بمنزلة قوله أول ما خلق الله العقل بالنصب لكن هذا اللفظ يمكن هؤلاء الملحدون أن يغيروا اعرابه بخلاف ذلك اللفظ فانه لا حيلة لهم في اعرابه ثم انه من العجب ان هذا الحديث

قد جعله عمدتهم في أصول الدين والمعرفة والتحقيق من يروم الجمع بين الشريعة الالهية والفلسفة اليونانية المشائيـة وكل هؤلاء غيروه وإن كان موضوعا فرووه أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل وجعلوا هذا حجة وموافقا لما يقوله الفلاسفة المشاؤن أتباع أرسطو من قولهم أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل الاول وقد شاع هذا في كلام كثير من المتأخرين بعد أن رأوه في كتب رسائل اخوان الصفا فان هذه الرسائل هي عمدة لهؤلاء ووجدوا نحو هذا في كلام أبي حامد في مواضع وان قيل انه رجع عن ذلك ثم وقع بعده في كلام من سلك هذه السبيل من الجهمية والمتفلسفة من القائلين بوحدة الوجود وغيرهم وهذا باطل من وجوه كثيرة * أحدها ان هذا الحديث بهذا اللفظ والاعراب لم يروه أحـد من رواة الحديث لا باسناد صحيح ولا سقيم بل الحديث المروي وان كان باسناد سقيم لفظه أول ماخلق الله العقل (بنصب أول والعقل) وذلك لا حجة فيه على ان العقل أول مخلوق خلق اذ لفظه أول ماخلق الله العقل قال له اقبل فاقبل فهو نصب على الظرف اذ ماهي المصدرية وهي والفعل بتأويل المصدر الذي يجعله ظرفا كما يقال أول مالقيت فلانا سلمت عليه أي في أول أوقات لقيه سلمت عليه واذا كان معناه انه قال له في أول أوقات خلقه هذا القول لم يدل على أنه أول مخلوق بل هو دليل على انه خلق قبله غيره اذ قد قال له في اول أوقات خلقه ماخلقت خلقا أكرم علي منك وان كان قد تحذلق من تحذلق من الجهمية القائلين بوحدة الوجود وغيرهم ففسروا الاقبال والادبار بما لا يدل عليه اللفظ واختلفوا في ذلك حتى ان صاحب (البدء) يفسر الاقبال والادبار بما يرجع محصوله الى أصله الفاسد من أن وجوده وجود الحق فمعلوم ان هذا ليس هو قول هؤلاء الفلاسفة ولكن ارسطو حكى عن بعض قدماء الفلاسفة انه كان يقول الوجود واحد ورد ذلك عليه فقول هؤلاء يواطيء هذا القول الذي لم يرضه هؤلاء الفلاسفة وقد كان صاحب البدء ينقل عن صاحب الفصوص والفتوحات المكية إن كلامه فلسفة مخموجة أي عفنة فيكون كلامه هو فلسفة منتنة وسواء كان قولهم أولم يكن فمعلوم ان اللفظ المذكور لا يدل على مافسره به بوجه من وجوه دلالات اللفظ ولكن هؤلاء سلكوا مسلك القرامطة الباطنية وهم من المتفلسفة المنتسبين الى الاسلام وكان ابن سينا يقول كان أبي من أهل دعوتهم ولذلك قرأت كتب الفلاسفة ومعلوم ان مقالات هؤلاء من أبعـد المقالات عن الشرع والعقل فانهم يسفسطون في العقليات ويقرمطون في

السميات فيحرفون الكلم عن مواضعه أعظم من التحريف الذى عيب به اليهود والنصارى الا من تقرمط من الاميين من متفلسفيهم فانه شبيه بهم وقد علم بالاضطرار ان مايفسرون به كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بل وكلام غيرهما ليس داخلا فى مرادهم فضلا عن أن يكون هو المراد بل غالب تفاسيرهم منافية لما أراده الله تعالى إما من ذلك اللفظ وإما من غيره وان كان طوائف من المشهورين بالفقه والتصوف يطلقون هذه العبارات الاسلامية بالتفاسير الفلسفية القرمطية فقد صرحوا بان ذلك مأخوذ عن هؤلاء كما ذكر أبو حامد في كتاب (معيار العلم) لما تكلم على الحدود قال ولكنا أوردنا حدودا مفصلة لتحصل الدربة بكيفية تحرير الحد وتأليفه فان الامتحان والممارسة للشيء تفيد قوة عليه لا محالة والثانى لان يقع الاطلاع على معانى اسماء اطلقها الفلاسفة وقد أوردناها في كتاب تهافت الفلاسفة اذلم يمكن مناظرتهم الا بلغتهم وعلى حكم اصطلاحهم واذا لم نفهم ماأوردناه فى اصطلاحهم لايمكن مناظرتهم فقد أوردنا حدود الفاظ اطلقوها فى الالهيات والطبيعيات وشيئا قليلا من الرياضيات فلتؤخذ هذه الحدود على انها شرح الاسم فان قام البرهان على ان ماشرحوه كما شرحوه اعتقد حدا والا اعتقد شرحا للاسم وانما قدمنا هذه المقدمة لتعلم أن مانورده من الحدود شرح لما أراده الفلاسفة باطلاق لاحكم فان ماذكروه على ماذكروه فان ذلك انما يتوقف على النظر في موجب البرهان عليه قال والمستعمل فى الالهيات أربع عشرة لفظة وهو المسمى بلسانهم المبدأ الاول وهو البارىء والعقل والنفس والعقل الكلى وعقل الكل والنفس الكلى ونفس الكل * والملك والعلة والمعلول والابداع والخلق والاحداث والقديم الى أن (قال العقل الكلي وعقل الكل والنفس الكلي ونفس الكل) وبيانه ان الوجودات عندهم يعني الفلاسفة ثلاثة اقسام أجسام وهى أخسها وعقول فعالة وهى أشرفها لبراءتها عن المادة وعلاقة المادة حتى انها لاتحرك المواد أيضا الا بالشوق وأوسطها النفوس وهى التى تنفعل عن العقل وتفعل فى الاجسام فهى واسطة ويعنون بالملائكة السماوية نفوس الافلاك فانها حية عندهم وبالملائكة المقربين العقول الفعالة فالعقل الكلى يعنون به المعنى المعقول المقول على كثيرين مختلفين بالعدد من العقول التي لاشخاص الناس ولا وجود لها فى القوام بل فى التصور فانك اذا قلت الانسان الكلى أشرت به الى المعنى المعقول من الانسان في سائر الاشخاص الذى هو فى العقل صورة واحدة تطابق سائر اشخاص الناس ولا وجود لعالم

الانسانية واحدة وهى انسانية زيد وهى بعينها انسانية عمرو ولكن فى العقل تحصل صورة الانسان من شخص واحد مثلا وتطابق سائر اشخاص الناس كلهم فيسمى ذلك الانسانية الكلية فهذا مايعنى بالعقل الكلى وأما عقل الكل فيطلق على معنيين لان الكل يطلق على معنيين أحدهما وهو الاوفق للفظ ان يراد بالكل جملة العالم فعقل الكل علي هذا المعنى بمعنى شرح اسمه انه جملة الذوات المجردة عن المادة من جميع الجهات التى لا تتحرك لا بالذات ولا بالعرض ولا تتحرك الا بالشوق وآخر رتبة هذه الجملة هو العقل الفعال المخرج للانفس الانسانية فى العلوم العقلية من القوة الى الفعل وهذه الجملة هي مبادئ الكل بعد المبدأ الاول والمبدأ الاول هو مبدع الكل وأما الكل بالمعنى الثانى فهو الجرم الاقصي أعني الفلك التاسع الذى يدور فى اليوم والليلة فيتحرك بحركته كل ما هو حشوه من السموات كلها فيقال لجرمه جرم الكل ولحركته حركة الكل وهو أعظم المخلوقات وهو المراد بالعرش عندهم فعقل الكل بهذا المعنى جوهر مجرد عن المادة من كل الجهات وهو المحرك لحركة الكل على سبيل التشويق لنفسه ووجوده أول وجود مستفاد عن الاول ويزعمون انه المراد بقوله صلي الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل الحديث الى آخره ﴿قال وأما النفس الكلى فالمراد به المعنى المقول على كثيرين مختلفين بالعدد فى جواب ما هو أى التى كل واحد منها نفس خاصة لشخص كما ذكرنا في العقل الكلي ونفس الكل على قياس عقل الكل جملة الجواهر الغير جسمانية التى هى كالآلات مدبرة للاجسام السماوية المحركة لها على سبيل الشوق والاختيار العقلي ونسبة نفس الكل الى عقل الكل كنسبة أنفسنا الى العقل الفعال ونفس الكل هو مبدأ قريب لوجود الاجسام الطبيعية ومرتبته في نيل الوجود بعد مرتبة عقل الكل ووجوده فائض عن وجوده وقد قال أبو حامد قبل هذا وأما العقول الفعالة فهي نمط آخر والمراد بالعقل الفعال كل ماهية مجردة عن المادة أصلا فحد العقل الفعال اما من جهة ما هو عقل انه جوهر صورى ذاته ماهية مجردة بذاتها عن المادة لا بتجريد غيره عن المادة وعن علائق المادة هي ماهية كماهية كل موجود واما من جهة انه فعال فانه جوهر بالصفة المذكورة ومن شأنه ان يخرج العقل الهيولانى من القوة الى الفعل باشراقه عليه وليس المراد بالجوهر المتحيز كما يريده المتكلمون بل هو قائم بنفسه لا فى موضوع والصورى احتراز عن الجسم ومافي المواد وقولهم لا بتجريد غيره احتراز

عن المعقولات المرتسمة في النفس من أشخاص الماديات فانها تتجرد بتجريد العقل اياها الا بتجريدها بذاتها اذ العقل الفعال المخرج لنفوس الآدميين بالعلوم من القوة الي الفعل فنسبته الى المعقولات والقوة العاقلة كنسبة الشمس الى الأبصار والمبصرات والقوة الباصرة اذ بها يخرج الابصار من القوة الى الفعل وقد يسمون هذه العقول الملائكة . وفي وجود جوهر على هذا الوجه يخالفهم المتكلمون اذ لا وجود لقائم بنفسه غير متحيز الا الله وحده والملائكة عندهم أجسام لطيفة متحيزة عند أكثرهم وتصحيح ذلك بطريق البرهان وما ذكرناه شرح الاسم * ثم قال حد النفس هو عندهم اسم مشترك يقع علي معنى أول يشترك فيه الانسان والحيوان والنبات وعلي معنى آخر يشترك فيه الانسان والملائكة السماوية عندهم فحد النفس بالمعني الاول عندهم انه كمال جسم طبيعي الى ذي حياة بالقوة وحد النفس بالمعنى الآخر انه جوهر غير جسم وهو كمال الجسم متحرك محرك له بالاختيار عن مبدأ نطقي أي عقلي بالفعل أو بالقوة فالذي بالقوة هو فصل للنفس الانسانية والذي بالفعل هو فصل للنفس الملكية (قلت) قوله عنهم ان نفس الكل هو مبدأ قريب للاجسام الطبيعية فيه كلام بينهم من جهة ان أكثرهم يقولون ان العقل نفسه هو المبدأ للاجسام وكذلك قوله العقول الفعالة فيه كلام من جهة ان المسمى بالعقل الفعال عندهم هو الآخر العاشر كما قد بينه انه هو الذي يخرج نفوس الآدميين من القوة الى الفعل وماذكره عنهم من الفرق بين العقول والنفوس وبين الاجسام بان تلك مجردة عن المادة والاجسام فى المادة مبنيّ على ان للجسم مادة هي جوهر قائم بنفسه وهو من أعظم الباطل وماذكروه من التجريد واحترازهم عن المعقولات بقوله لا بتجريد غيره يقتضي الاشتراك فى مسمي العقل وهذا العقل عرض من الأعراض وذاك جوهر قائم بنفسه ولا ريب ان كلامهم فى اثبات ذلك وإن كان مهيبا عند من لم يمعن النظر فيه فهو عند التحقيق فى غاية الفساد والتناقض والاضطراب كما قد أوضحناه فى غير هذا الموضع وكذلك ماذكره عن المتكلمين فى المتحيز فان لهم في ذلك نزاعا وفيه تفصيل ليس هذا موضعه لكن ليس المقصود هنا الا ان أبا حامد وأمثاله يقرون بأن جعل هذه المعانى الفلسفية مسميات بهذه الاسماء النبوية هو من كلام هؤلاء المتفلسفة فاذا وجد مثل ذلك في كلام واحد من هؤلاء علم انه احتذى حذوهم لئلا يغتر بذلك من قد ينازع فى ذلك أو يرتاب فيه أو لا يخطر بقلبه لحسن ظنه بمن يتكلم بالعبارات الاسلامية النبوية انه لا يريد بها مايعنيه هؤلاء المتفلسفة وما

أحسن ما قال شيخ الاسلام الهروي فى من هو أحسن حالا من هؤلاء من أهل الكلام قال أخذوا مخ الفلسفة فلبسوه لحاء السنة وبسبب هذا ضل طوائف ممن لم ينكشف لهم حقيقة مقاصد الناس فلا يفهمون مايقصده الانبياء والرسل ولا مايقصده هؤلاء حتى يقابلوا بين هذه المعانى وتلك فيعلمون هل هى متفقة متشابهة أم مختلفة بل متضادة بل قد يحرفون ما جاءت به الرسل حتى لا يفهم منه المعاني التى قصدوها المنافية لما هم عليه وكذلك يحرفون كلام أئمتهم اذا ظهر المسلمون فيصرفونه الى مايقبله المسلمون وكذلك ذكر الكاشفون لأسرار القرامطة والهاتكون لاسنادهم كالقاضى أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه في كتب القرامطة من أنهم وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روّجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالى يعنون به العقل والنفس ويقولون هو اللوح والقلم وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين وكذلك السهروردى الحلبي المنقول كلامه فى الباطن يأخذه من عادة الفلاسفة الصابئين والمجوس وبهذا الثاني يتميز عن غيره من الفلاسفة المشائية ولهذا يعظم الأنوار وهؤلاء الذين سلكوا مسلك فارس والروم هم من الداخلين في قوله صلي الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لتأخذنّ مآخذ الأمم قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع قالوا يارسول الله فارس والروم قال ومن الناس الا هؤلاء وقد بسطنا ما يتعلق بهذا فى غير هذا الموضع ثم انهم مع اقرارهم بأنّ جعل هذه المعانى الصابئية الفلسفية هى مسميات هذه الاسماء النبوية أو التي يقال انها نبوية هو من كلام هؤلاء المتفلسفة يقطعون بذلك فى مواضع اخر بل فيما يجعلونه من أشرف العلوم والمعارف حتى أنهم يجعلونه من العلوم التى يضن بها على غير أهلها ومن العلم المكنون الذى ينكره أهل العزة بالله ولا يعرفه الا أهل العلم بالله وهذا موجود فى مواضع كثيرة كما فى كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة لما ذكر ان الكفر هو تكذيب الرسول في شئ مما جاء به وقيل مع ذلك ان التصديق انه ينظر أن الخبر وحقيقته الاعتراف بوجود ماأخبر الرسول بوجوده الا أن للوجود خمس مراتب ذاتي وحسي وخيالى وعقلي وشبهى والكلام على هاتين المقدمتين ومافي الاولى من التفريط والتقصير عن الحق ومافى الثانية من العدوان والزيادة على الحق له مواضع غير هذا لكن المقصود انه قيل وأما الوجود العقلي فامثلة كثيرة الى أن قال المثال الثاني قوله عليه الصلاة والسلام ان الله

تعالى خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا فقد أثبت لله تعالى يدا ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالي هي جارحة محسوسة أومتخيلة يثبت لله تعالي يداً روحانية عقلية أعنى انه يثبت معني اليد وحقيقتها وروحها دون تصورها اذروح اليدومعناها مايبطش بهويفعل ويعطي ويمنع والله تعالى يعطى ويمنع بواسطة الملائكة كماقال عليه السلام أول ماخلق الله العقل فقال بك أعطي وبك أمنع ولايمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرض كما يعتقده المتكلمون اذلايمكن أن يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة سمى عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما يسميها قلما باعتبار أنه ينقش به حقائق العلوم في الواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا والهاما فانه قدروى من حديث آخر ان أول ماخلق الله القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز أن يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى فى كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما باعتبار اضافته الى مايصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحى كما سمى جبريل روحا باعتبار ذاته وأمينا باعتبار ماأودع من الاسرار وذاقوة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكينا عندذي العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا فى حق بعض الملائكة وهذا القائل يكون قد أثبت قلما عقليا لاحسيا وخياليا لاكونيا وكذلك من ذهب الى ان اليدعبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة وإماغيرها كما اختلف فيه المتكلمون فقد جعل فى تأويل هؤلاء اليد والقلم والعقل عبارة عن شيء واحد وجعله هو المراد بذلك عندهم فى هذه الاسماء الواردة في الكتاب والسنة وكذلك قال في كتاب مشكاة الانوار لما تكلم على المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار وجعل المشكاة هى الروح الحسى والزجاجة الروح الخيالى والمصباح العقل والشجرة الروح الفكري والزيت الروح القدسى النبوى الذي يختص به الانبياء وبعض الاولياء وهذا الكتاب كالعنصر لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وان كان صاحب الكتاب لم يقل بذلك بل قد يكفر من يقول بذلك لكن ذاك لما فيه من الاجمال تارة ومن التفلسف وابراز مقاصد الفلاسفة في الالفاظ النبوية وتأويلها عليها تارة ومن المخالفة لمادل عليه الكتاب والسنة والاجماع تارة ومن المخالفة لما علم بالعقل الصريح تارة ولما فيه من الامور التي يقولون انها تستلزم قولهم ولهذا عظم انكار أئمة الاسلام لهذا الكتاب ونحوه

حتى جرت فى ذلك فصول يطول وصفها وقد جعل الكتاب ثلاثة فصول الفصل الاول فى بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وعاد كلامه الى أن النور بمعني الوجود وقد سلك ابن سينا قبله نحوا من ذلك مما جمع بين الشريعة والفلسفة وكذلك سلك ذلك الاسماعيلية الباطنية في كتابهم الملقب (برسائل اخوان الصفا) وكذلك يعلي بن رشد بعده وكذلك الاتحادية يجعلون ظهوره وتجليه في الصور بمعني وجوده فيها والكلام على هذا واسع نذكره فى غير هذا الموضع اذ الغرض هنا بيان مايعلم به من كلامهم من متابعتهم للمتفلسفة الصابئين والتعبير عن تلك المعانى بالفاظ الانبياء والمرسلين مع العلم من كل من أوتي العلم والايمان بل من كل مؤمن بان مافي هؤلاء من مخالفة كتاب الله تعالى ورسله ودينه أعظم ممافي اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل * ثم قال الفصل الثاني المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار ومعرفة هذا يستدعى تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود الاول في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعانى بقوالب الامثلة والثانى فى بيان مراتب الارواح البشرية النورانية اذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن وأما الفصل الثالث فنى معنى قوله صلي الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ماأدركه بصره وفي بعض الروايات سبعمائة وبعضها سبعين الفا (قلت) وقد بسطنا الكلام على هذه الآية واسم الله النور والحجب ومايتعلق بذلك فى غير هذا الموضع وتكلمنا على ماذكره هو وأبو عبد الله الرازى وامثالهما في ذلك وبينا ان الحديث بهذا اللفظ كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل المعرفة بالحديث لايوجد في شئ من دواوين الحديث وذكرنا الحديث الذي فى الصحيح حديث أبي موسى عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الله لاينام ولا ينبغى أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور أوالنار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ماأدركه بصره من خلقه وذكرنا الاحاديث والآثار فى الحجب وكلام السلف والائمة فى ذلك وبينا مخالفة الجهمية للعقل الصريح ولكن من لم يكن له عناية تامة باتباع المرسلين واقتفاء آثارهم والاهتداء باعلامهم ومنارهم واقتباس النور من مشكاة أنوارهم فانه يجعل الحديث الصحيح ضعيفا والضعيف صحيحا والمعني الحق باطلا والباطل حقا صريحا كما يوجد في كلام سائر الخارجين عن منهاج السابقين الاولين من المهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم باحسان المبتدعين فيما فارقوا به طريق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المهدية المنصورة الى قيام الساعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة ولما تكلم صاحب كتاب مشكاة الأنوار على طريق هؤلاء في الباطن بألفاظ الكتاب والسنة في الظاهر وان كان قد روى انه رجع عن ذلك كله ومن الناس من يطعن في إضافة هذه الكتب اليه والمقصود التنبيه على ما في هذه الكتب المخالفة للكتاب والسنة من الضلال لئلا يغتر بها وبنسبتها الى المعظمين أقوام جهال* قال القطب الاول في سر التمثيل ومنهاجه اعلم ان العالم عالمان روحانى وجسماني وان شئت قلت حسى وعقلي وان شئت قلت علوي وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات فان اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسماني وروحانى وان اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسى وعقلي واذا اعتبرتهما باضافة أحدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي وربما سميت أحدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن يطلب الحقائق من الألفاظ ربما تحير عند كثرة الألفاظ وتخيل كثرة المعانى والذى تنكشف له الحقائق يجعل المعاني أصلا والالفاظ تبعا وأمر الضعيف بالعكس منه إذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم) واذا عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتي عالم غيب اذ هو غائب عن الاكثرين والعالم الحسى عالم شهادة اذ تشهده الكافة والعالم الحسى مرقاة الى العالم العقلي ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسدّ طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله تعالى فلن يقرب من الله أحد مالم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحسّ والخيال وهو الذى نعنيه بعالم القدس واذا اعتبرنا جملته بحيث لا يخرج منها شيء ولا يدخل فيها ماهو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما سميناه الروح البشري الذى هو مجرى لوائح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد امعانا في معانى القدس ولكن لفظ الحظيرة يحيط بجميع طبقاتها فلا تظن هذه الالفاظ طامات غير ظاهرات عند أرباب البصائر واشتغالى الآن بشرح كل لفظة مع ذكرها يصدني عن القصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فأرجع الى الغرض فأقول لما كان عالم الشهادة مرقاة الى عالم الملكوت فكان سلوك الصراط المستقيم

عبارة عن هذا الترقى وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدي ولو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شئ من هذا العالم إلا وهو مثال لشيء في ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة وإحصاء تلك الأمثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ولن تفى به القوة البشرية فغايتى أن أعرفك فيها أنموذجا لتستدلّ باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الأسرار فأقول ان كان فى عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الأنوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى أربابا ويكون الله تعالى رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب فى نورانيتها متقاربة فبالحرى أن يكون مثالها فى عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب والسالك الطريق أولا ينتهي الى مادرجته درجة الكواكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الأسفل بأسره تحت سلطانه وتحت إشراق نوره ويلوح له من كماله وعلوّ درجته ما يبادر فيقول هذا ربى ثم اذا اتضح ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأي أفول الأول فى مضرب الهوى بالاضافة الى مافوقه فقال لاأحب الآفلين وكذلك يترقى حتي ينتهي الى ما مثاله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذى النقص نقص وأفول أيضا فمنه يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ومعنى الذى اشارة مبهمة لا مناسبة لها إذ لو قال قائل مامثال مفهوم الذي لم يتصور أن يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الاول الحق الى أن قال * فأقول علم التعبير يعرفك أيضا منهاج ضرب الأمثال لأن الرؤيا جزء من النبوة أما ترى ان الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة فى معنى روحاني وهو الاستيلاء على الكافة مع فيضان الآثار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها عنه كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من رأى في يده خاتما يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فتعبيره انه مؤذن يؤذن قبل الصبح في رمضان وان من رأي انه يصب الزيت في الزيتون

فتعبيره ان تحته جارية هي أمه وهو لا يعرف وباستقصاء أبواب التعبير تزيدك أنسا بهذا الجنس فلا يمكن اشتغال بعددها* بل أقول كما ان في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب فكذلك فيها أمثلة أخري اذا اعتبرت منه أوصاف أخر سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى أودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان ثم موجودات تتلقى تلك النفائس أولا بعضهم بعد البعض فمثاله الوادي وإن كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجرى من قلب الى قلب فهذه القلوب أيضا أودية ومفتتح الوادي قلوب الأنبياء ثم العلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه الأودية دون الأول ومنه تغترف فبالحرى أن يكون الأول هو الوادي الايمن لكثرة يمنه وبركته وعلوّ درجته وان كان الوادي الأدون يتلقى من آخر درجات الوادي الأيمن فمغترفه شاطئ الوادي الايمن دون لجته وميدانه وان كان روح النبي سراجا منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا من الوحي كما قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) فما فيه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقون من الانبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال حظ[1] المقلد الجذوة ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب فان صاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلى بالنار من معه النار لا من يسمع خبرها وان كان أول منازل الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطئ ذلك الوادي المقدس الا باطّراح الكونين أعنى الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما مرة أخري فمثال اطراحهما عند الاحرام للمتوجه الى كعبة القدس خلع النعلين بل يترقي الى الحضرة حضرة الربوبية مرة أخري فنقول ان كان لتلك الحضرة شئ بواسطته تنتقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة لها فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة لها ما بعضها سابقة التلقي ومنها ما تستفيد من غيرها فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان

(١) قوله مثال حظ المقلد الخ نسخة المشكاة هكذا فمثال المقلد الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك الخ

يدعونه من التوحيد وهو حجة باطلة ومقصودهم فيما يدعونه من التوحيد وقد بين ذلك علماء المسلمين كما بينه أبو حامد الغزالى فى تهافت الفلاسفة * وكما قد صرح الرازي وغيره فى هذه الطرق فى مواضع أخر (واما قوله ويلزم من ذلك ان لا يكون من نوعه اثنان اذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال) فطريقهم في تقرير هذا انه لو كان اثنان واجبا الوجود لكانا مشتركين فى وجوب الوجود فان كان كل منهما ممتازا عن الآخر بتعينه كان كل منهما مركبا مما به الاشتراك وما به الامتياز فيكون كل منهما مركبا وقد تقدم ان التركيب محال * وان لم يكن أحدهما ممتازا عن الآخر لزم وجود اثنين بلا امتياز * وبهذه الحجة يثبتون امكان الاجسام كلها لانهم يقولون الجسم مركب اما من المادة والصورة * واما من الجواهر الفردة * وكل مركب ممكن فبهذه الحجة تقوم الصفات * وكانوا من أشد الناس تجهما لانهم زعموا ان اثبات الصفات ينافي هذا التوحيد * وقد تفطن لفساد هذه الحجة من تفطن لها من الفضلاء كابي حامد الغزالى وغيره وذلك من وجوه (أحدها) ان يقال قول القائل انه يلزم افتقاره الى ماركب منه وذلك ينافي وجوب الوجود ممنوع لان غاية ما فيه ان ماركب منه جزء من أجزائه وقول القائل ان المركب مفتقر الى جزئه ليس باعظم من قوله انه مفتقر الى كله فان الافتقار الى المجموع أشد من الافتقار الى بعض المجموع فالمفتقر الي المجموع مفتقر الى كل جزء منه والمفتقر الي جزء منه لا يلزم ان يكون مفتقرا الى الجزء الآخر . ومعلوم ان افتقاره الى الجميع هو افتقاره الى نفسه وهو معني قوله هو واجب بنفسه . فعلم ان وجوبه بنفسه لا يوجب الافتقار المنافي لوجوب الوجود

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان يقال وجوب الوجود الذي دل عليه الدليل ينفى أن يفتقر الى أن يكون مفتقرا الي شئ خارج عن نفسه اذ كانت الممكنات لا بد لها من وجود غير ممكن موجود بنفسه . وهذا ينفى أن يفتقر الى شئ خارج عن نفسه فلو قيل انه موجود بنفسه مستغن عن غيره وانه مفتقر الي غيره للزم الجمع بين النقيضين فاما ما هو داخل في مسمى نفسه فليس هو شيئا خارجا عن نفسه حتى يقال افتقاره اليه ينافي وجوده بنفسه

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان يقال اسم الغير فيه اصطلاحان . أحدهما ان حد الغيرين ما جاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر . والآخر ان الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود أو إمكان أو زمان . والاول اصطلاح المعتزلة والكرامية . والثانى اصطلاح الكلابية والاشعرية

فان قيل بالثاني لجزؤه وصفته ليس بغير له فلا يكون ثبوته موجبا لافتقاره الى غيره . وان قيل بالاول فثبوت الغير بهذا التغير لابد منه فانه يمكن العلم بوجوده والعلم بوجوبه والعلم بانه خالق والعلم بعلمه والعلم بارادته وهم يعبرون عن ذلك بالعقل والعناية وهذه المعاني أغيار على هذا الاصطلاح وثبوتها لازم لواجب الوجود . واذا كان ثبوت هذه الاغيار لازما له لم يجز القول بنفيها لان نفيها يستلزم نفي واجب الوجود . وعلم ان مثل هذا وان سمي تركيبا فليس منافيا لوجوب الوجود ﴿ فاذا قيل ﴾ واجب الوجود لا يفتقر الى غيره * قيل لا يفتقر الى غير يجوز مفارقته له أم هو لازم لوجوده * (فالاول) حق * (وأما الثاني) فممنوع ونبين ذلك ﴿ بالوجه الرابع ﴾ وهو أن يقال استعمال لفظ الافتقار في مثل هذا ليس هو المعروف في اللغة والعقل * فان هذا انما هو تلازم بمعنى انه لا يوجد المركب الا بوجود جزء أو لا يوجد أحد الجزئين الا بوجود الآخر أو لا يوجد الجزء الا بوجود الكل أو لا توجد الصفة الا بوجود الموصوف أو لا يوجد الموصوف الا بوجود الصفة * ومعلوم ان الشيئين المتلازمين في الوجود لا يجب أن يكون أحدهما مفتقرا الى الآخر بل ان كانا ممكنين جاز أن يكونا معلولي علة واحدة أوجبتهما من غير أن يفتقر أحدهما الى الآخر * وأما الامور المتلازمة كالابوة والبنوة لا يجب أن يكون أحدهما مفتقرا الى الآخر فان افتقار الشيء الي غيره انما يكون اذا كان ذاك الغير مؤثرا في وجوده كتأثير العلة * فأما المتلازمان اللذان يكون وجود أحدهما مستلزما لوجود الآخر معه فانه وان قيل ان وجوده شرط لوجوده لكن لا يلزم أن يكون مفتقراً اليه بحيث يكون علة له * واذا كان المراد بالافتقار هنا التلازم فذلك لا ينافي وجوب الوجود * يوضح ذلك

﴿ الوجه الخامس ﴾ وهو أن يقال لاريب انه يمتنع أن يكون شيآن كل منهما علة للآخر لأن العلة متقدمة على المعلول فلو كان علة لعلته للزم تقدمه على نفسه لكونه علة العلة وتأخره عن نفسه لكونه معلول العلة وذلك جمع بين النقيضين ولهذا كان الدور القبلي محالا ولا يمتنع أن يكون شيآن كل منهما شرط في الآخر لان ذلك انما يستلزم أن يكون كل منهما مع الآخر وليس ذلك بممتنع ولهذا قيل الدور المعيّ ليس بمحال فالمركب غايته أن يكون كل من اجزائه مشروطا بالجزء الآخر وأن يكون هو مشروطا باجزائه ولا يقتضي التركيب وجود جزء قبل جزء ولا وجود جزء قبل اجزائه فاذا قيل إنه مفتقر الى جزئه كان معناه لا يوجد الا بوجود جزئه

معه ولا يستلزم ذلك وجود جزئه * ثم ذلك الجزء ليس هو علة له ولا هو خارجا عن نفسه فالقول بان وجوده يستلزم وجود الجزء حق والتعبير عن ذلك بانه يقتضي أن يكون مفتقرا الى جزئه وجزؤه غيره ليس له معنى الاذلك * وهذا لا يقتضي أنه مفتقر الى علة ولا محتاج الي علة ولا شرط خارج عن واجب الوجود ولا دور قبلي وأما ما فيه من الدور المعيّ فليس ذلك بمحال * ولا ينافي وجوب الوجود الا أن يثبت ان مثل هذا التمدد ينافي وجوب الوجود وهم لم يثبتوا ان التمدد ينافي وجوب الوجود الا بهذا فبطل أن يكون هذا دليلا على بطلان التمدد في وجوب الوجود

﴿ الوجه السادس ﴾ أن يقال قول القائل واجب الوجود بنفسه هل يقتضي أن يكون مفتقرا الى نفسه أم لا يقتضي ذلك فان اقتضاه كان افتقاره الى جزئه أولى وأحرى بالالتزام فلا يكون ممتنعا * وان قيل لا يقتضيه قيل وكذلك التركيب لا يقتضي أن يكون المركب مفتقرا الى جزئه فانه اذا كانت نفسه لا توجد الا بنفسه ولم يحسن أن يقال هو مفتقر اليها فالجميع الذى لا يوجد الا بأجزائه أولى أن لا يقال له هو مفتقر الى واحد منها إذ المركب ليس الا الاجزاء وصورة التركيب *

﴿ الوجه السابع ﴾ أن يقال المعنى المعروف من لفظ التركيب أن يكون الجزآن مفترقين فيركبها جميعا مركب لأن المركب اسم مفعول ركبه مركب فهو مركب كما يركب الطبيخ من أجزائه والأدوية المركبة من أجزائها وأمثال ذلك * ومعلوم ان المركب بهذا الاعتبار مفتقر الى من يركبه غيره * إذ لو كانت ذاته تقتضي التركيب لم يجز عليه التفرق * وواجب الوجود بنفسه لا يكون مفتقرا الى شئ خارج عن نفسه لأن ذلك جمع بين النقيضين * ولا ريب ان مثبتة الصفات ليس فيهم بل ولا في سائر فرق الأمة من يثبت هذا التركيب في حق الله تعالى. ولكن المتفلسفة يسمون الموصوف مركبا ويسمون الصفات أجزاء فيقولون الانسان مركب من الحيوانية والناطقية والنوع مركب من الجنس والفصل . فاما أن يريدوا بالحيوانية والناطقية جوهراً أو عرضاً فان أرادوا بها جوهرا وهو الحيوان والناطق فالحيوان والناطق هما الانسان وليس الجوهر الذى هو الناطق غير الجوهر الذى هو الانسان ولا هو غير الجوهر الذى هو حيوان ناطق لكن الذهن يجرد هذه المعاني في الذهن فيتصور الناطق مطلقا والحيوان مطلقا

والانسان مطلقا لكن تجريد الذهن لها لا يقتضي أن يكون في الخارج ثلاثة جواهر والعلم بهذا ضروري . وان قيل إنه مركب من الحيوانية والناطقية وهما عرضان فالعرض لا يقوم الا بالجوهر والحيوانية والناطقية صفة الانسان فكيف يكون الجوهر مركبا من صفاته وصفاته لا قيام لها الا به وهي مفتقرة اليه. واذا قالوا لو سميناهذا تركيبا لم ننازع في الألفاظ نزاعا لافائدة فيه . نقول كل موجود فلا بد أن يكون مركبا بهذا الاعتبار فان وجود ذات عارية عن جميع الصفات ممتنع ووجود موجود مطلق لا يتعين ولا له حقيقة يختص بها عن سائر الحقائق ممتنع وكل ما اختص وتميز عن غيره فلا بد له من خاصة * وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ولسنا محتاجين هنا الى اثبات وجوب مثل هذا بل يكفي أن نقول لا نسلم امتناع مثل هذا المعنى الذي سميتموه تركيبا * وكثير من المتكلمين لا يسمون الاتصاف تركيبا بل يسمون التقدير تركيبا لان المقدر مركب من الاجزاء الفردة أو من المادة والصورة * وهذا أيضا فيه نزاع فطوائف من أهل الكلام كالهشامية والضرارية والنجارية والكلابية يقولون ليس بمركب بحال ومن قال انه مركب قال لا يمكن وجود أجزائه بدونه كما لا يمكن وجوده بدون أجزائه وحينئذ فيقال لهم كما قيل للمتفلسفة وهم يسمون نفي مثل هذا التركيب توحيدا ويدخلون في ذلك نفي الصفات فيجعلون نفي علم الله وقدرته وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته من التوحيد ويسمون انفسهم الموحدين كما يدعي المعتزلة انهم أهل التوحيد والعدل ويعنون بالتوحيد نفي الصفات *ولما كان أبو عبد الله محمد بن التومرت على مذهب المعتزلة في نفي الصفات لقب أصحابه بالموحدين* وقد صرح في كتابه الكبير بنفي الصفات ولهذا لم يذكر في مرشدته شيأ من الصفات الثبوتية لا علم الله ولا قدرته ولا كلامه ولا شيئا من صفاته الثبوتية وانما ذكر السلوب * والتوحيد الذي بعث الله به رسوله وانزل به كتابه هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو توحيد ألوهيته المتضمن توحيد ربوبيته كما قال تعالى (والهكم اله واحد) وقال تعالى (لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون) وقال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (لقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) * والمشركون كانوا يقرون بان رب العالمين واحد لكن كانوا يعبدون معه غيره كما قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) * وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون)

﴿ونحن نوجه ذلك بمذكرحجته﴾ ووجه نظمها أن يقال واجب الوجود لا تركيب فيه ومالا تركيب فيه فهو واحد فواجب الوجود واحد وانما قلنا لا تركيب لأن المركب مفتقر الى ماتركب منه وماتركب منه غيره وواجب الوجود لايفتقر الي غيره فواجب الوجود لاتركيب فيه وهذا معنى قوله ﴿ الدليل على وحدته انه لاتركيب فيه بوجه والالما كان واجب الوجود لذاته﴾ أي لو كان فيه تركيب بوجه لما كان واجب الوجود لذاته ثم قال ﴿ ضرورة افتقاره الى ماتركب منه﴾ أي لو كان مركبا للازم ضرورة أن يفتقر الى ماركب منه ثم انه حذف تمام الحجة وهو اذا افتقر الى ماتركب منه كان مفتقرا الى غيره وواجب الوجود لايفتقر الى غيره ﴿ وأما قوله ويلزم من ذلك أن لايكون من نوعه اثنان اذ لو كان اثنان واجب الوجود فان كان بينهما امتياز لزم تركيبها مما به الاشتراك وما به الامتياز والا لزم عدم التعيين ﴾ فيقال. الجواب عن ذلك من طريقين * أحدهما انهما اذا اشتركا في وجوب الوجود وامتاز كل منهما بتعينه فمعلوم أن وجوب أحدهما ليس هو عين وجوب الآخر كما ان عينه ليست عينه بل هذا واجب وهذا واجب كما ان هذا عين وهذا عين واشتراكهما في وجوب الوجود المطلق كاشتراكهما في التعيين المطلق والمطلق انما يكون مطلقا في الاذهان لا في الاعيان فعين هذا واجبة وجوبا يخصها وعين هذا واجبة وجوبا يخصها والذهن يجرد وجوبا مطلقا وتعينا مطلقا واذا كان كذلك بطل قول القائل ان كلا منهما مركب مما به الاشتراك ومابه الامتياز بل مابه الاشتراك وهو الوجوب مثل مابه الامتياز وهو التعين وهذه الحجة كثيرة في كلامهم والغلط فيها واقع لاحيلة فيه وانما نشأ الغلط حيث أخذوا في الوجوب ما يشتركان فيه وفي التعيين مايخص وهذا يمكن معارضته بمثله بان يقال هما مشتركان في التعيين اذ هذا معين وهذا معين ويمتاز كل منهما بوجوبه اذ لكل منهما وجوب يخصه واذا أمكن العكس تبين أن مافعلوه تحكم محض (الطريق الثانى) أن يقال هب ان هذا تركب مما به الاشتراك والامتياز لكن دليله على نفي مثل هذا التركيب باطل كما تقدم

﴿ فصل ﴾

﴿ وأما قوله * والدليل على علمه ايجاده الاشياء لاستحالة ايجاده للاشياء مع الجهل ﴾ فهذا الدليل مشهور عند نظار المسلمين أولهم وآخرهم والقرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ والمتفلسفة أيضا سلكوه * وبيانه من وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان ايجاده للاشياء هو بارادته كما سيأتي والارادة تستلزم تصور المراد قطعا وتصور المراد هو العلم فكان الايجاد مستلزما للارادة والارادة مستلزمة للعلم فالايجاد مستلزم للعلم * ﴿ الثاني ﴾ ان المخلوقات فيها من الاحكام والاتقان مايستلزم علم الفاعل لها لان الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم * وبهذين الطريقين يتقرر ماذكره ﴿ ولهم طرق ﴾ منها ان من المخلوقات ماهو عالم والعلم صفة كمال * ويمتنع أن لا يكون الخالق عالما * وهذا له طريقان ﴿ أحدهما ﴾ أن يقال نحن نعلم بالضرورة ان الخالق أكمل من المخلوق وان الواجب أكمل من الممكن ونعلم ضرورة انا اذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم كان العالم أكمل منه * فاذا لم يكن الخالق سبحانه عالما يلزم أن يكون غير عالم أي جاهلا وهو ممتنع * ﴿ الثاني ﴾ أن يقال كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منهم ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه بل هو أحق والله سبحانه وله المثل الأعلى لا يستوى هو والمخلوق لا في قياس تمثيل ولا قياس شمول بل كل ماأثبت لمخلوق فالخالق به أحق * وكل نقص تنزه عنه مخلوق فتنزيه الخالق عنه أولى *

﴿ فصل ﴾

﴿ وأما قوله والدليل على قدرته إيجاده الاشياء وهي إما بالذات وهو محال والا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما وهو باطل فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب ﴾ فقد يقال هذا انما أثبت به أنه فاعل بالاختيار وان كان لم يقرر مقدمات دليله وفعله بالاختيار يثبت الارادة ولا يثبت القدرة وهو قد أثبت الارادة فيما بعد فظاهر هذا انه كرر دليل الارادة ولم يذكر على القدرة دليلا لكن تقرير ذلك أن يقال إنه إما أن يكون المبدع للاشياء مجرد ذات عارية عن الصفات يستلزم وجوده المفعول كما يقوله المتفلسفة القائلون بقدم الافلاك وإما أن يكون ذاتا موصوفة بالصفات لا يجب معها وجود المخلوقات كما عليه أهل الملل *

﴿ واذا أردت التقسيم الحاصر قلت ﴾ الفاعل إما مجرد الذات * وإما الذات بصفة * فان كان الاول

فمعلوم ان العلة التامة تستلزم وجود المعلول فاذا كان مجرد الذات هو الواجب فمجرد الذات علة تامة فيلزم وجود المعلول معه ويلزم قدم جميع الحوادث وهو خلاف المشاهدة * وان كان الثاني فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة . أو يقال فاذا لم يكن موجبا لذاته بل بصفة تعين أن يكون مختارا فانه إما موجب بالذات وإما فاعل بالاختيار والمختار انما يفعل بالقدرة اذ القادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل . فاما من يلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذى تلزمه الحركات الطبيعية التى لاقدرة له على فعلها ولا تركها

﴿ فصل ﴾

﴿ وأما قوله والدليل على أنه حي علمه وقدرته لاستحالة قيام العلم والقدرة بغير الحي ﴾ فهذا دليل مشهور للنظار يقولون قد علم أن من شرط العلم والقدرة الحياة فان ماليس بحي يمتنع أن يكون عالما اذ الميت لايكون عالما والعلم بهذا ضروري . وقد يقولون هذه الشروط العقلية لاتختلف شاهدا ولا غائبا فتقدير عالم لاحياة به ممتنع بصريح العقل . ﴿ وكذلك قوله والدليل على ارادته تخصيصه الاشياء بخصوصيات واستحالة التخصص من غير مخصص ﴾ فان هذا دليل مشهور للنظار ويقرر هكذا ان العالم فيه تخصيصات كثيرة مثل تخصيص كل شيء بماله من القدر والصفات والحركات كطوله وقصره وطعمه ولونه وريحه وحياته وقدرته وعلمه وسمعه وبصره وسائر مافيه مع العلم الضروري بانه من الممكن أن يكون خلاف ذلك اذ ليس واجب الوجود بنفسه . ومعلوم ان الذات المجردة التي لاارادة لها لاتخصص وانما يكون التخصيص بالارادة * ولو قيل التخصيص هو باسباب معلومة كالارض والاشجار تكون مختلفة فاذا سقيت بماء واحد اختلفت ثمارها لاختلاف القوابل كما ان الشمس تختلف آثارها بحسب القوابل كما تبيض الثوب وتسود وجه القصار وتلين اليابس الذي لم ينضج بما تجذبه اليه من الرطوبة وتجفف الرطب الذي كمل نضجه لانقطاع الرطوبة عنه * قيل هب ان الامر كذلك فا الموجب لاختلاف القوابل حتى خصت هذه الشجرة وهذا الجسم بسبب اخر فلابد أن ينتهى الأمر الى سبب لاسبب فوقه * فان قيل هو شيء صدر عنه كما تقول المتفلسفة لايصدر عن الواحد الا واحد والصادر الاول هو العقل وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك * فهذا باطل لانه ان كان الصادر الأول واحدا من كل وجه لم يصدر عنه أيضا الا واحد . وان كان فيه كثرة فقد صدر عن

الواحد أكثر من واحد . وان قيل الكثرة عدمية لزم أن يصدر عن العدم وجود . ثم يقال الفلك الثامن كثير الكواكب دون التاسع فما الموجب لكثرة كواكبه . ثم قيل السبب الاول ان كان فيه اختصاص بصفة وقدر كان تخصيصه بالارادة لان التخصيص بذات الارادة لها ممتنع بصريح العقل وان قيل ليس له اختصاص بصفة وقدر قيل هذا يقتضي أن يكون وجودا مطلقا والمطلق لا يكون الا في الاذهان لا في الاعيان

﴿ فصل ﴾

كثير من النظار كابن كلاب وموافقيه كالاشعرى واكثر متبعيه من أهل الكلام والرأى والحديث والتصوف من أصحاب الائمة الاربعة وغيرهم كالقاضى أبى يعلى وأبي المعالى الجوينى وأبي الوليد الباجي وأبى منصور الماتريدى وغيرهم يقولون انه يعلم المعلومات كلها بعلم واحد بالعين ويريد المرادات كلها بارادة واحدة بالعين بل يقولون ان كلامه الذى يتضمن كل أمر أمر به وكل خبر أخبر به هو أيضا واحد بالعين وان كان جمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام * ثم تنازع القائلون بهذا الاصل هل كلامه معني فقط والقرآن العربي لم يتكلم به ولا بالتوراة العبرانية ولا تكلم بشئ من الحروف أو الحروف والاصوات التى نزل بها القرآن وغيره وهى قديمة أزلية على قولين * ومن القائلين بقدم أعيان الحروف أو الحروف والاصوات من لا يقول هى واحدة بالعين بل يقول هى متعددة وان كانت لا نهاية لها ويقول ثبوت حروف أو حروف ومعان لا نهاية لها في آن واحد وانها لم تزل ولا تزال * ومن القائلين بقدم معني الكلام وانه لم يتكلم بحروف من يقول القديم خمسة معان ومنهم من يقول ذلك المعني يعود الى الخبر ويجعل الامر داخلا في معني الخبر ومنهم من يرد الخبر الى العلم ومنهم من يقول مع ذلك ان العلم ليس صفة قائمة بالعلم

وأما أقوال السلف وعلماء الاسلام في هذا الاصل وما في ذلك من نصوص الكتاب والسنة فهذا أعظم من أن يسعه هذا الشرح ومن كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وعبد بن حميد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وبقي بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم رحيم وعبد الرحمن بن أبي حاتم ومحمد بن جرير الطبرى وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر بن عبد العزيز وأبي الشيخ الاصفهاني وأبى بكر بن مردويه وغيرهم من ذلك ما تطول حكايته وكذلك

فيها القدرية ولم ينازعوا فى الاعيان والملائكة من الاعيان لامن الاعراض فهى من المخلوقات باتفاق المسلمين وليس بين أهل الملل خلاف في ان الملائكة جميعهم مخلوقون ولم يجعل أحد منهم المصنوعات نوعين عالم خلق وعالم أمر بل الجميع عندهم مخلوق ومن قال ان قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) أريد به هذا التقسيم الذى ذكره فقد خالف اجماع المسلمين وأما نظارهم الذين يتكلمون بلفظ الجوهر والجسم والعرض فمتفقون على ان جميع الملائكة أجسام بل متفقون على ان كل ممكن اما ان يكون جسما أو عرضا مع تنازعهم فى الجسم هل هو منقسم الى الاجزاء التى لا تنقسم أو غير منقسم وممتنع عندهم وجود قائم بنفسه وليس بجسم وهم متنازعون في الوجود مطلقا ومن ذكر من المتأخرين كالشهرستاني والرازى والآمدى ونحوهم أنهم تكلموا فى حدوث الاجسام ولم يعتمدوا دليلا على نفي ماليس بجسم كالعقول والنفوس التى تثبتها الفلاسفة بل سكتوا عن ذلك فليس الامر كما ذكروا بل قد صرح أئمة المتكلمين بان نفي ذلك معلوم بالضرورة المستغنية عن الدليل وكثير منهم يقول ان كل موجودين فاما متباينان واما متحايثان ان هذا معلوم بالضرورة وأما الممكنات فمتفقون على ان هذا التقسيم ثابت فيها بالضرورة وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع * فان قيل لفظ الخلق مشترك فى اصطلاحهم كما ذكره أبو حامد عنهم فقال وحدّ الخلق هو اسم مشترك قد يقال خلق لافادة وجود كيف كان وكذلك قد يقال خلق لافادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان وقد يقال خلق لهذا المعنى الثاني لكن بطريق الاختراع من غير سبق مادة فيها قوة وجوده وامكانه واذا كان الخلق مشتركا عندهم بين مطلق الايجاد وبين الايجاد المختص بالاجسام العنصرية أمكن ان يحمل قوله أول ماخلق الله العقل على المعنى الاول وما ذكروه من نفى الخلق عن العقول والنفوس فهو على الاصطلاحين الآخرين للذين قد تكلم بهما أبو حامد تارة ذاكرا وتارا آثرا * قيل لاريب ان القوم لهم أوضاع واصطلاحات كما لكل أمة ولكل أهل فن وصناعة ولغتهم في الاصل يونانية وانما ترجمت تلك المعانى بالعربية ونحن انما نحتاج الى معرفة اصطلاحهم لمعرفة مقاصدهم وهذا جائز بل حسن بل قد يجب أحيانا كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ان يتعلم كتاب اليهود وقال لا آمنهم قال البخاري في صحيحه وقال خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم أمره ان يتعلم كتاب يهود حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه وأقرأته كتبهم اذا كتبوا اليه فاذا كان هذا في كتب

الاعاجم فكيف بالسنتهم ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى فما وافقه فهو حق وما خالفه فهو باطل كما قال الله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) والاختلاف نوعان نوع في جنس اللغة كالعربية والفارسية والرومية واليونانية ويقال هي هي ونوع في اصنافها اذ قد يكون في الالفاظ العرفية العامة والاصطلاحية الخاصة نظير مافي لغة العرب ولغة هؤلاء المصنفين منهم كانت من هذا النمط فاما الالفاظ التى أنزل الله بها القرآن الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين وأخذوا عنه لفظه ومعناه وتناقل ذلك أهل العلم بالكتاب والسنة بينهم خلف عن سلف فهذه لايجوز ان يرجع في معانيها الى مجرد أوضاعهم ولا ريب ان القوم أخذوا العبارات الاسلامية القرآنية والسنية فجعلوا يضعون لها معانى توافق معتقدهم ثم يخاطبون بها ويجعلون مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من جنس ماأردوا فحصل بهذا من التلبيس على كثير من أهل الملة ومن تحريف الكلم عن مواضعه ومن الالحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما الله به عليم ولهذا قد يوافقون المسلمين فى الظاهر ولكن هم فى الباطن زنادقة منافقون وهذا كما جاؤا الى لفظ المحدث والقديم فقالوا الاحداث مشترك يطلق على وجهين أحدهما زمانى والآخر غير زمانى فمعنى الاحداث الزمانى الايجاد للشئ بعد ان لم يكن له وجود فى زمان سابق ومعنى الاحداث غير الزمانى هو افادة الشئ وجودا وذلك الشيء ليس له في ذاته ذلك الوجود لابحسب زمان دون زمان بل بحسب كل زمان وغرضهم بهذا الوضع أن يطلقوا بين المسلمين ان السموات والارض وما بينهما محدث مخلوق فيظن الظان انهم لاينازعون في كون ذلك محدثا مخلوقا مع العلم الضرورى ان قولهم فيها ليس ماأخبرت به الرسل واتفق عليه أهل الملل وكذلك أيضا قولهم الابداع اسم مشترك لمفهومين أحدهما مايشؤه الشيء لا عن شئ ولا بواسطة شيء والمفهوم الثانى ان يكون للشيء وجود مطلق عن سبب ترتب بلا متوسط وله في ذاته ان لا يكون موجودا وقد أفقد الذي في ذاته افقادا تاما قالوا وبهذا المفهوم العقل الاول مبدع فى كل حال لانه ليس وجوده من ذاته فله في ذاته

العدم وقد أفقد ذلك افقادا تاما ومعلوم ان هذا المعنى ليس هو المعروف من لفظ الابداع في اللغة التي بها نزل القرآن كما في قوله تعالى (بديع السموات والارض) ونحو ذلك ولفظ الخلق أبعد عن هذا المعنى فان مثل هذا المعنى يعلم بالاضطرار انه ليس هو المراد بلفظ الخلق في القرآن والسنة وقد فسروا لفظ الخلق بثلاثة معان ليس فيها واحد هو المراد في كلام الله تعالى ورسوله والمؤمنين فان مايذكرونه من افادة وجود الملائكة بالمعنى الاول ومايذكرونه في في اختراع الافلاك والعناصر بالمعنى لم يردوا احدا منها الانبياء والمؤمنون وذلك معلوم بالاضطرار والتواتر والاجماع وأما المعنى الثاني فكذلك فليس في كلام الرسل مايثبت ان الخلق حاصل في أجسام هى مادة وصورة بل كلامهم ينفي ذلك وهذا بين فقد تبين ان أهل الملل المتفقين على ان الله تعالى خالق الملائكة لا يريدون خلقهم بالمعنى الاول وهو الذي يريده الفلاسفة كما في قوله تعالى (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) وقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا أولى اجنحة مثني وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير) فقد أخبر الله تعالى في كتابه ان من أعمال الملائكة وعباداتهم وحركاتهم وكلامهم وأصنافهم ماينافي أصولهم ويبطلها وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وقد بين في غير هذا الموضع ان قولهم بصدور العقول والنفوس عنه هو نظير قول من جعل له بنين وبنات كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون*بديع السموات والارض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم*ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل*لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وتبين أيضا ان قولهم بتولد ذلك عنه هو كقول من يقول بتولد الملائكة أو المسيح عنه وقد قال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الآية وقال تعالى (وله من في السموات والارض) وقال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) وهذا باب

واسع ليس هـذا موضعه قد بسطناه في غير هذا الموضع * وأما خلق السموات والارض فقد نص القرآن والتوراة أنه خلق ذلك في ستة أيام وتواترت بذلك الاحاديث ثم اتفق عليه أهل الملل فكيف يجوز ان يفسر بالاختراع اللازم لذاته من غير سبق مادة كما ذكروه في المعنى الثالث ولفظ الخلق المذكور في القرآن يتضمن معنيين كلاهما يناقض قولهم يتضمن الابداع والانشاء المعروف ويتضمن التقدير وعندهم العقول والنفوس ليس لها مقدار ولاهي أيضا مبدعة الابداع المعروف والسموات ليست مبدعة الابداع المعروف وقد قال الله تعالى (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) فذكر لفظ الخلق لكل شئ وذكر أنه قدر كل شئ تقديرا والملائكة عندهم لم تقدر بل ولم تخلق الخلق المعروف عند المسلمين باللغة التي خوطبوا بها فهذا أصل * الأصل الثاني ان يقال لفظ الخلق المذكور في القرآن ليس مشتركا بالضرورة والاتفاق ولم يقل أحد من المسلمين ان قوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم يدل على معان متباينة كلفظ العين والقرء ونحو ذلك فان زعموا ان لفظ الخلق في القرآن والسنة متضمن للتقدير حتى يفرقوا بين عالم الخلق والامر بطل قولهم أول ماخلق الله العقل فانه على هذا الاصطلاح لايكون مخلوقا وان زعموا أنه يتضمن الاتحاد كيف ما كان بطل تقسيمهم لعالم الخلق وعالم الأمر ومنعهم ان تكون الملائكة مخلوقة مع ان فساد هذا معلوم بالاضطرار من دين المسلمين فانه ليس لاحد أن يقول ان الملائكة ليست مخلوقة ولا يقبل منه تفسير ذلك بحال مع النفي وهذا يدل على مناقضتهم للرسل أيضا مع كثرة أدلة ذلك

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان هؤلاء يدعون ان العقل الأول صدر عنه جميع ماتحته فصدر عنه عقل ونفس وفلك وعن العقل عقل ونفس وفلك الى العقل الفعال فانه صدر عنه جميع ماتحته من الموادو الصور ويسمون هؤلاء الأرباب الصغرى والآلهة الصغرى ومعلوم بالاضطرار من دين جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ان شيئا من الملائكة ليس هو فاعلا لجميع المصنوعات ولا أنه مبدع لجميع ماتحت فلك القمر بل قد قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون

كشف الضر عنكم ولا تحويلا)وقال تعالى(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير*ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون* لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون*ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين)وقال تعالى(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا *لقد جئتم شيئا ادا*تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا* أن دعوا للرحمن ولدا* وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا *ان كل من في السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ولان ما اتفق عليه أهل الملل من ان الملائكة سجدوا لآدم يبطل قول هؤلاء ان اضعف العقول التي هى الملائكة عندهم هو مبدع جميع البشر ورب كل ماتحت فلك القمر

﴿الوجه الرابع﴾ ان من تدبر الكتب المصنفة فى العقل لاهل الآثار تبين له تحريف هؤلاء مع ضعف الأصل ومن أشهرها كتاب العقل لداود بن المحبر وهو قديم في أوائل المائة الثالثة روي عنه الحارث بن أبي أسامة ونحوه وكذلك مصنفات غيره رووا فيها عن ابن عباس أنه دخل على أم المؤمنين عائشة فقال يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب الى الله قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني عنه فقال أحسنهما عقلا فقلت يارسول الله انما أسألك عن عبادتهما فقال ياعائشة انهما لا يسئلان عن عبادتهما انما يسئلان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة ورووا فيها عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل انسان سبيلا مطية وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة أفضلهم عقلا ورووا فيها عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليكون من أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الحج وأهل الجهاد فما يجزي يوم القيامة الا بقدر عقله وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لقد سبق الي جنات عدن أقوام ما كانوا بأكثر الناس صلاة ولا صياما ولا

حجا ولا اعمارا ولكنهم عقلوا عن الله تعالى مواعظه فوجلت منه قلوبهم واطمأنت اليه النفوس وخشعت منه الجوارح ففاقوا الخليقة بطيب المنزلة وحسن الدرجة عند الناس فى الدنيا وعند الله فى الآخرة فهذه الاحاديث ونحوها هى مما روى بالاسانيد فى العقل وفي ضمن هذه الاحاديث ونحوها رووا الحديث المتقدم أول ما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم علي منك فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وعليك العقاب فهل يشك من سمع هذه الاحاديث ان المراد بذلك عقل الانسان وليس المراد ما هو أعظم المخلوقات الموجودات بعد البارى عندهم وهو عندهم أبدع كل ما سواه وان الاستدلال بهذا الحديث ونحوه على ارادة هذا المعنى من أعظم الضلال وأبعد الباطل والمحال هذا لعمرى لو كان ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال أبو حاتم بن حبان البستى لست أحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا صحيحا فى العقل لان أبان بن أبي عياش وابن وردان وعمر بن عمرو بن سالم بن عمران وعلي بن زيد والحسن بن دينار وعباد بن كثير وميسرة ابن عبد ربه وداود بن المحبر ومنصور بن شنقير وذويهم كلهم ضعفاء هذا مع ان أبا حاتم هذا مع فضيلته وبراعته وحفظه كان يتهم بان فى كلامه من جنس الفلسفة أشياء حتى جرت له بسبب ذلك قصة معروفة عند العلماء بحاله وقد تقدم كلام سائر أهل المعرفة في أحاديث العقل واتفاقهم على ضعفها كما قال أبو الفرج بن الجوزى وقد قال أبو الفرج بن الجوزى فى ذم الهوي وغيره المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العقل كثير الا انه بعيد الثبوت وقال أبو جعفر العقيلى لم يثبت فى هذا المتن شىء من هذا النحو وهذا الذي قالاه هما ونحوهما معروف لمن كان له خبرة بالآثار بل لفظ العقل اسم ليس له وجود فى القرآن وانما يوجد ما تصرف منه لفظ العقل نحو يعقلون وتعقلون وما يعقلها الا العالمون وفى القرآن الاسماء المتضمنة له كاسم الحجر والنهى والالباب ونحو ذلك وكذلك فى الحديث لا يكاد يوجد لفظ المصدر فى كلام النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح الا في مثل الحديث الذي فى الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر الى المصلى فمر على النساء فقال يا معشر النساء تصدقن فاني أريتكن أكثر أهل النار فقلن وبم يارسول الله فقال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احدا كن

قلن وما نقصان عقلنا ودينا يا رسول الله فقال أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل قلن بلى قال هذا من نقصان عقلها قال واذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فهذا من نقصان دينها وهذا الحديث ونحوه لا ينقض ما ذكره الحافظ أبو حاتم وأبو الفرج والعقيلي وغيرهم اذ ليس هو في فضل العقل وانما ذكر فيه نقصان عقل النساء وذلك ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا اذا ضبط وأمسك ما يعلمه وضبط المرأة وامساكها لما تعلمه أضعف من ضبط الرجل وامساكه ومنه سمي العقال عقالا لانه يمسك البعير ويحجره ويضبطه وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ضبط القلب للعلم بضبط العقال للبعير فقال في الحديث المتفق عليه استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وقال مثل القرآن مثل الابل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وان أرسلها ذهبت وفي الحديث الآخر أعقلها وأتوكل أو أرسلها فقال بل اعقلها وتوكل فالعقل والامساك والضبط والحفظ ونحو ذلك ضد الارسال والاطلاق والاهمال والتسييب ونحو ذلك وكلاهما يكون بالجسم الظاهر للجسم الظاهر ويكون بالقلب الباطن للعلم الباطن فهو ضبط العلم وامساكه وذلك مستلزم لاتباعه فلهذا صار لفظ العقل يطلق على العمل بالعلم كما قد بسطنا الكلام على مسمى العقل وأنواعه في غير هذا الموضع اذ الغرض هنا بيان كذب هؤلاء على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان العقل في لغة المسلمين كلهم أولهم عن آخرهم ليس ملكا من الملائكة ولا جوهرا قائما بنفسه بل هو العقل الذي في الانسان ولم يسم أحد من المسلمين قط أحدا من الملائكة عقلا ولا نفس الانسان الناطقة عقلا بل هذه من لغة اليونان ومن المعلوم ان حمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كلام الله تعالى على مالا يوجد في لغته التي خاطب بها أمته ولا في لغة أمته وانما توجد في لغة أمة لم يخاطبهم بلغتهم ولم تتخاطب أمته بلغتهم فهذا يبين ان الذين وضعوا الاحاديث التي رويت في ذلك ليس المراد بها عند واضعيها ما أثبته الفلاسفة من الجوهر القائم بنفسه فهؤلاء المستدلون بهذه الاحاديث على قول المتفلسفة لم يفهموا كلام الكاذبين الواضعين للحديث بل حرفوا معناها كما حرفوا لفظها فاذا كان هذا حالهم في الحديث الذي استدلوا به فكيف في غيره فتبين ان استدلالهم باطل قطعا

﴿ الوجه السادس ﴾ ان العقل في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والائمة لا يراد به جوهر

قائم بنفسه باتفاق المسلمين وانما يراد به العقل الذي في الانسان الذى هو عند من يتكلم في الجوهر والعرض من قبيل الاعراض لامن قبيل الجواهر وهذا العقل في الاصل مصدر عقل يعقل عقلا كما يجئ في القرآن (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها)(ومنهم من يستمع اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهذا كثير وهذا مثل لفظ السمع فانه في الاصل مصدر سمع يسمع سمعا وكذلك البصر فانه مثل الابصار ثم يعبر بهذه الالفاظ عن القوى التى يحصل بها الادراك فيقال للقوة التى في العين بصر وللقوة التى يكون بها السمع سمع وبهذين الوجهين يفسر المسلمون العقل ومنهم من يقول العقل هو من جنس العلم كما يقوله القاضي أبو بكر بن الباقلانى وأبو الطيب الطبرى وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم ومنهم من يقول هو الغريزة التى بها يتهيؤ للعلم كما نقل ذلك عن الامام أحمد ابن حنبل والحارث المحاسبي ويدخل ذلك في العقل العملى وهو العمل بمقتضى العلم وأما تسمية الشخص العاقل عقلا أو الروح عقلا فهذا وان كان يسوغ نظيره في اللغة فقد يسمون الفاعل الشخص بالمصدر فيسمى عدلا وصوما وفطرا فليس هذا من الامور المطردة في كلامهم فلا يسمون الآكل والشارب أكلا وشربا ولو كان ذلك مما يسوغ في القياس بحيث يسوغ ان يسمي كل فاعل باسم مصدره فهذا انما يسوغ في الاستعمال لا في الاستدلال فليس لاحد أن يضع هو مجازا بنفسه يحمل عليه كلام الله تعالى ورسوله وكلام من تكلم قبله اذ المقصود بالكلام هو فهم مراد المتكلم سواء كان لفظه يدل على المعنى وهو الحقيقة أو لا يدل الا مع القرينة وهو المجاز فليس لاحد أن يسمى الجوهر القائم بنفسه عقلا ثم يحمل عليه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم بالاضطرار لمن يعرف لغة النبي والمسلمين الذين يتكلمون بلغته انهذا ليس هو مراد النبي صلى الله عليه وسلم في اسم العقل فليس هذا مراد المسلمين باسم العقل ولا يوجد ذلك في استعمال المسلمين وخطابهم واذا كان كذلك لم يجز أن يتمسكوا بشيء من كلام الرسول الذى فيه لفظ العقل لو كان ثابتا على اثبات الجوهر الذى يسمونه عقلا ومن تدبر ما يوجد من كلام المسلمين عامتهم وخاصتهم سلفهم وأئمتهم وفقهائهم ومحدثيهم وصوفيتهم ومفسريهم ونحاتهم ومتكلميهم لم يجد في كلام أحد منهم لفظ العقل مقولا على ما يزعم هؤلاء المتفلسفة ولا على ما يقال انه ملك من الملائكة

ولا يسمون أحدا من الملائكة عقلا ولا الله تعالى عقلا الا من أخذ ذلك عن الفلاسفة هذا *مع أنه مذكور فى كتب الاصول والكلام فى ذلك فيه من النزاع أقوال كثيرة تنازع فيها أهل الكلام وأهل النظر المنتسبين الى الاسلام ثم ان قول المتفلسفة عندهم قول آخر* واعلم ان المقصود فى هذا المقام ان لفظ العقل لا يعبر به عن جوهر قائم بنفسه لا عن ملك ولا غيره فى عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وسائر علماء المسلمين فلا يجوز ان يحمل شيء من كلامهم المذكور فيه لفظ العقل على مراد هؤلاء المتفلسفة بالعقول العشرة ونحو ذلك فينقطع دابر من يجعل لهم عمدة فى الشريعة من هذا الوجه* ثم بعد هذا النزاع بين الناس في فرعين *أحدهما ان العقل الذى هو الانسان ماهو * الثانى ان مايعنيه المتفلسفة بلفظ العقل هل له وجود أم لا وقد ذكروا فى كتب الاصول النزاع في ذلك جملة كما يذكره القاضي أبو بكر بن الباقلاني والقاضى أبو الطيب والقاضي أبو يعلي وأبو الوفاء بن عقيل وأبو المعالى الجوينى وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني والقاضى أبو بكر بن العربى المعافرى وأكثر أهل الكلام فان هؤلاء يختارون ان العقل الذى هو مناط التكليف هو ضرب من العلوم الضرورية كالعلم باستحالة اجتماع الضدين وكون الجسم فى مكانين ونقصان الواحد عن الاثنين والعلم بموجب العادات فاذا اخبره مخبر بان الفرات يجري دراهم لايجوز صدقه ومن أخبر بنبات شجرة بين يديه وحمل ثمرة وادراكها فى ساعة واحدة لاينتظر ذلك ليأكل منها واذا أخبر بان الارض تنشق ويخرج منها فارس بسلاح يقتله لا يهرب فزعا فاذا حصل له العلم بذلك كان عاقلا ولزمه التكليف* ثم قد نقل عن طوائف من الأئمة والعلماء مايقتضي أنه القوة التي يعقل بها وعن طوائف مايقتضي أنه قد يكون مكتسبا فروي أبو الحسن التميمى فى كتاب العقل عن محمد بن احمد بن مخزوم عن أبى الحسن التميمى عن ابراهيم الحربى عن أحمد بن حنبل أنه قال العقل غريزة* والحكمة فطنة* والعلم سماع* والرغبة فى الدنيا هوى* والزهد فيها عفاف* وقد فسر القاضي أبو يعلي ذلك بان قوله غريزة أنه خلق لله ابتداء وليس باكتساب وذكر عن أبي محمد البربهارى أنه قال ليس العقل باكتساب انما هو فضل من الله وذكر عن أبي الحسن التميمي أنه قال في كتاب العقل العقل ليس بجسم ولا صورة ولا جوهر وانما هو نور فهو كالعلم وعن بعضهم أنه قال هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وعن أبي

بكر بن فورك أنه قال هو العلم الذي يمتنع به من فعل القبيح وعن بعضهم أنه ماحس معه التكليف ثم قال القاضي ومعني ذلك كله متقارب ولكن مايذ كرناه أولى لانه مفسر خلافا لما حكي عن قوم من الفلاسفة انه اكتساب وقال قوم هو عرض مخالف لسائر العلوم والاعراض وعن قوم هو مادة وطبيعة وقال آخرون هو جوهر بسيط (قلت) وبعض هذه الاقوال التى خالفها هى نحو من الأقوال التى جعلها متقاربة فان من قال هو العلم الذى يمتنع بهمن فعل القبيح لم يحد العقل الذى هو مناط التكليف الذى يفرق به بين العاقل والمجنون الذى حدّوه هم وجعلوه ضربا من العلوم الضرورية بل هذا العقل هو مناط النجاة والسعادة وهو من العقل الممدوح الذى صنفت الكتب فى فضله والذي حدّوه أوّلا قد يفعل صاحبه أنواع القبائح ويكون ممن قيل فيه لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وهذا العقل الممدوح قد يكون اكتسابا وأيضا من قال هوعرض مخالف لسائر العلوم والاعراض فقوله موافق لقول من قال هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وقول أحمد هوغريزة يتناول هذه القوة ولهذا فرق بين ذلك وبين العلم وأبو الحسن التميمى قال هو كالعلم ولم يقل هو من العلم *فهنا أمور* أحدها علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذى رفع القلم عنه وبين العاقل الذى جرى عليه القلم فهذا مناط التكليف* والثاني علوم مكتسبة تدعو الانسان الى فعل ماينفعه وترك مايضره فهذا أيضا لانزاع في وجوده وهو داخل فيما يحمد بها عند الله من العقل ومن عدم هذا ذم وان كان من الأول وما في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل يدخل فيه هذا النوع وقد عدمه من قال لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير * الثالث العمل بالعلم يدخل فى مسمى العقل أيضا بل هو من أخص مايدخل في اسم العقل الممدوح وهذان النوعان لم ينازع الأولون في وجودهما ولا فى أنهما يسميان عقلا ولكن قالوا كلامنا في العقل الذي هو مناط التكليف للفرق بين العاقل والمجنون وهذان لايدخلان في ذلك فالنزاع فيهما لفظي* الأمر الرابع الغريزة التى بها يعقل الانسان فهذه مما تنوزع فى وجودها فانكر كثيرمن الاولين ان يكون في الانسان قوة يعلم بها غير العلم وقوة يبصر بها غير البصر أو قوة يسمع بها غير السمع وجعلوا اثبات ذلك من جنس قول الفلاسفة والطبائعية الذين يجعلون فى الانسان قوي يفعل بها وقد بالغ فى ذلك طوائف منهم القاضي أبو بكربن العربى فى العواصم والقواصم

وأصل ذلك تقريرهم ان الله تعالى خالق كل شيء لاخالق غيره وهذامذهب سلف الامة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهوأحسن ماامتاز به الاشعرى عن طوائف المتكلمين وبالغ فى ذلك حتى جعل أخص أوصاف الرب القدرة على الاختراع وزعم ان هذا معني الالهية وفي الاصل رد على القدرية القائلين بأن الله تعالى لم يخلق افعال الحيوان وعلى الفلاسفة واتباعهم من أهل النجوم والطبع القائلين بفاعل غير الله لكن زاد من زاد منهم في ذلك أشياء ليست من السنة بل تخالف السنة حتي ردوا بدعة ببدعة فدخل بعضهم في اثبات الجبر الذي أنكره السلف والائمة حتى تتوسل بذلك قوم الى إسقاط الامر والنهى والوعد والوعيد وأنكر من أنكر منهم ماجعله الله تعالي من الاسباب حتى خرجوا عن الشرع والعقل وقالوا إن الله يحدث الشبع والري عند وجود الأكل والشرب لابه وكذلك يحدث النبات عند نزول المطر لابه ونحو ذلك وهذا خلاف ماجاء به الكتاب والسنة قال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات) وقال تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) وقال تعالى (فاحيينا به بلدة ميتا) وقال تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) وقال (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) ومثل هذا كثير ونفى هذه الاسباب أن تكون أسبابا في الامور المخلوقة هو شبيه بنفي طوائف من المتصوفة ونحوهم لما يأمرون به من اعمال القلوب وغيرها من الامور المشروعة نظرا الى القدر ودعوي التوكل كما قد بسطنا الكلام فى ذلك فى غير هذا الموضع ولهذا قال من نظر الى هذين الانحرافين كأبي حامد الغزالى وأبى الفرج الجوزى وغيرهما فى كتاب التوكل * اعلم ان الالتفات الى الاسباب شرك فى التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا تغيير فى وجه العقل * والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح فى الشرع * والسلف والائمة متفقون على اثبات هذه القوي * فالقوى التي بها يعقل كالقوى التى بها يبصر والله تعالى خالق ذلك كله كما ان العبد يفعل بقدرته بلا نزاع منهم والله تعالى خالقه وخالق قدرته فانه لاحول ولا قوة الا بالله * والحول اسم لكل تحول من حال الي حال والقوة عام فى كل قوة حتى الحول فنفى القوة كنفى الحول * وقد بسطنا الكلام فى غير هذا الموضع فيما يقع من الاشتباه والنزاع فى قدرة العبد هل هى مؤثرة في الفعل أو فى بعض صفاته أو غير

مؤثرة بحال* وقد وقع تسمية هذه القوة عقلا فى كلام طوائف منهم أبو المعالي الجويني ذكر في أصول الفقه أن العقل معنى يدرك به العلم وجملة صفات الحي وكان يقول في التعليق انه تثبيت سمة ادراك النفس وقد خالفه صاحبه أبو القاسم الانصارى وقال هذا فيه نظر فاعلموه* وقال المحققون من أئمتنا العقل هو العلم بدليل أنه لا يقال عقلت وما علمت أو علمت وما عقلت وان كان فرق بين اللفظين في اطلاق أهل العرف وتقييدهم* وهذا كما أن العالم في الحقيقة ذو العلم سواء كان العلم علم الشريعة والدين أو غيره من العلوم واذا أطلق مطلق فقال رأيت العلماء أو جاءنى عالم فلا يفهم من اطلاقه اصحاب الحرب والصناعات بل لا يفهم منه الا علماء الشريعة وكذلك العقل اذا اطلق فانما يراد به عقل التكليف وهو مابه يمكن التميز والاستدلال على ما وراء المحسوس ويخرج به صاحبه عن حد المتوهين وتسميه العقلاء عاقلا* وهذا قول أبي الحسن وانما قاله لان النحل تراه ينسج أشكالا مسدسة يعجز عنها كثير من العقلاء وكذلك غير النحل من البهائم والجعل فلهذا قال العاقل من تسميه العقلاء عاقلا *والعقل المقيد يتناول جنس العلم فلهذا قال الشافعى رحمة الله عليه (الحمام أعقل الطائر) عنى به أكيس الطير *وقد ذكر أيضا أبو بكر بن فورك عن الائمة فى العقل أقوالا ثم زيفها وحملها على محامل فنقل عن الشافعي وأبي عبد الله بن مجاهد أنهما قالا العقل آلة التميز* وحكى عن أبي العباس القلانسي قال العقل قوة التميز *وعن الحارث المحاسبي انه قال العقل أنوار وبصائر* ثم قال الوجه أن لا يصح ماينقل عن هؤلاء الائمة فان الآلة تستعمل فى الاجسام المبنية واستعمالها فى الاعراض مجاز *على أنا نقول كل حاسة من الحواس آلة التميز وليست عقلا ولا المؤمنون بها عقلاء والكفار معهم عقول ومعهم آلة التميز ثم لا يميزون بين الحق والباطل فان قالوا أردنا بذلك أنه يصح بها التميز والاستدلال والكفار يصح منهم ذلك قلنا هذا يبطل بالدليل والنظر وقول الرسول والمفتي فان كل واحد ممن ذكرناه يميز به بين الاحكام وليس ذلك من العقل في شئ فان صحت هذه الحكاية فان المعنىّ بها مايقع به التميز ويمكن معه الاستدلال على ماوراء المحسوس والخلاف يرجع الى العبارة *قال والشافعي رحمه الله تعالى لم يسلك مسالك المتكلمين ولم يراع ماراعوه وكذلك لا يعقل من القوة الا القدرة والقلانسى أطلق ماأطلقه توسعا في العبارة *وكذلك المحاسبي إذ العقل ليس ببصيرة ولا نور ولكن يستفاد به الانوار والبصائر* قال أبو القاسم الانصاري ولا اختلاف بين اصحابنا في المعنى فقد سمي

الله تعالى الايمان نورا فقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وشيخنا
الامام (يعني أبا المعالي) أطلق ماطلقه توسعا ولوكان العقل معنى يدرك به العلم فما العلم الذي يدرك
به العقل وكيف يتميز أحدهما عن الآخر لاسيما والعلم عنده خارج عن قبيل الاعتقاد ﴿ قلت ﴾
لايخفى مافي هذا الكلام من الغض عن الائمة الذين هم أحق بالحق وكلامهم سديد فان القوة التي
جعل الله بها العلم والعمل لم ينكرها من العقلاء الا من وافق هؤلاء على نفيها * وقول الشافعي
واحمد والمحاسبي ومن وافقهم قول واحد * وانما رد قولهم بالباطل * فأما قوله ان الآلة انما تستعمل
في الاجسام وهي من الاعراض مجاز * فيقال له هذا ممنوع ثم الشافعي انما استعملها مقيدة
بالاضافة فلو كانت عند الاطلاق لا تتناول الا جسما لكانت مع الاضافة التي ذكرها كقولهم
ابرة الذراع * وأرنبة الانف * وانسان العين * وقلب الاسد * وقلب العقرب * ونحو ذلك مما احدثت
فيه الاضافة فمن الناس من يقول هذا مجاز والمحققون يعلمون أن هذا وضع جديد لم يستعمل
فيه اللفظ في غير موضوعه اذ هذا المضاف لم يكن موضوعا لغير هذا المعنى * ثم هب أن ذلك
مجاز فأي عيب في ذلك اذا ظهر المقصود ومن الذي قال ان الحد والدليل لايستعمل فيهما المجاز
المقرون بما يبين معناه * دعه ماليس حدا * وأما قوله فعلى طريقة من يفرق بين الحد والرسم وأما
من يجعل المقصود بالحد هو التمييز بين المحدود وغيره كما هو مذهب المتكلمين فالجميع يسمى عنده
حدا * وأما قوله كل حاسة من الحواس آلة التمييز فليس كذلك لان الحاسة لا يميز بها بين الاشياء
بل مجرد السمع الذي يدرك الصوت لا يميز بين الصوت وغيره بل يحس الصوت * ثم الحكم على
الصوت بأنه غير اللون يعرف بغير الحاسة وهو العقل وبه يعرف غلط الحس اذ الأحول يرى
الواحد اثنين والممرور يجد الحلو مرا لكن العقل به يميز سلامة الحس من فساده اذ قد استقر
عنده مايدرك بالحس السليم فاذا رأي من له عقل حسا يدرك خلاف ذلك علم فساده ونظر في
سبب فساده وكذلك المجنون قد يرى أحمر وأحمر وأبيض وأبيض ولا يميز بين الدينار والدرهم
وغيره ولا بين الايام ولا بين ثوبه وثوب غيره وفعله وفعل غيره مع وجود حسه * وأما الكفار
فلهم التمييز الذي يصح معه التكليف الذي به فارقوا المجنون وليس من شرط عقل الكل تمييز
كل حق من كل باطل بل هذا لا يوجد لعامة الخلق * وأما نقضه بالدليل والنظر فذلك يميز به
شئ بعينه ليس هو آلة لكل تمييز والعقل آلة لكل تمييز فبه يميز بين دليل ودليل ونظر ونظر

وأما قول أبي القاسم لو كان العقل معنى يدرك به العلم فبم يميز العلم عنه فقول ضعيف فانه اذا كان يميز بين أنواع العلم فيميز بين الضروري وغيره وما يحصل بالحواس وغيره فكيف لا يميز بينه وبين القوة التي بها يحصل كما يميز بين الابصار وبين قوة البصر فانا نعلم أن في العين قوة فارقت بها قوة اليد حتى كان هذه يرى بها وهذه لا يرى بها ونعلم أن في العقل قوة فارق بها المجنون حتى كان هذا يعقل وهذا لا يعقل وان قدر انه ساه عن العلم * وعمدة الجمهور الذين قالوا ليس العقل الا ضرب من العلوم الضرورية انهم قالوا ليس بجوهر لان الدليل قد دل على ان الجواهر كلها من جنس واحد خلافا للملاحدة في قولهم مختلفة لان معنى المثلين ما يسد احدهما مسد صاحبه وينوب منابه والجواهر على هذا لان كل واحد منها متحرك وساكن وعالم فلو كان العقل جوهرا لكان من جنس العاقل ولا يستغنى العاقل بوجود نفسه في كونه عاقلا عن وجود مثله وماهو من جنسه وقد ثبت انه ليس بعاقل بنفسه فمحال أن يكون عاقلا بجوهر من جنسه ولأنه لو كان جوهرا لصح قيامه بذاته ووجوده لا بعاقل ولصح أن يفعل ويكلف لان ذلك مما يجوز على الجواهر وفي امتناع ذلك دليل على انه ليس بجوهر وثبت انه غير عرض قالوا ومحال أن يكون عرضا غير سائر العلوم حتى يكون الكامل العقل غير عالم بنفسه ولا بالمدركات ولا بشيء من الضروريات اذ لا دليل يوجب تضمن احدهما للاخر وذلك نهاية الاحالة ومحال أن يكون اكتسابا لانه يؤدي الى ان الصبي ومن عدمت منه الحواس الخمس ليسوا بعقلاء لانه لا نظر لهم ولا استدلال يكسبون به العقل وفي الاجماع على حصول الحي العاقل منهم دليل على فساد هذا ولا يجوز أن يكون العقل هو الحياة لان العقل يبطل ويزول ولا يخرج الحي عن كونه حيا وقد يكون الحي حيا وان لم يكن عالما بشيء أصلا ولا يجوز أن يكون هو جميع العلوم الضرورية ولا العلوم التي تقع عقيب الادراكات الخمسة لان هذا يؤدي الى ان الاخرس والاطرش والاكمه ليسوا بعقلاء لانهم لا يعلمون المشاهدات والمسموعات والمدركات التي تعلم باضطرار لا باستدلال ولا يجوز أيضا أن يكون العلم تحسين حسن وتقبيح قبيح ووجوب واجب وتحريم محرم من جملة العلوم التي هي عقل لان هذه الاحكام كلها معلومة من جهة السمع دون قضية العقل فوجب أن يكون بعض العلوم الضرورية وهو ما ذكره وما كان في معناه من ان الموجود لا يخلو من أن يكون لوجوده أول وان الموجود لا يكون موجودا معدوما في حال

واحدة وان المتحرك عن المكان لايجوز أن يكون ساكنا فيه فى حال واحدة وان الذات الواحدة لايجوز أن تكون حية ميتة ونحو ذلك من الاوصاف المتضادة فهذا الدليل هو عمدتهم كلهم فى الجملة وهذه الفاظ القاضى أبي يعلي الفراء وهذا القول قالته المعتزلة قبل المتكلمة الصفاتية ومن اتبعهم ولكن ادخلوا فيه العلم بحسن افعال وقبحها * قال أبو علي الجبائي العقل عشرة أنواع من العلم وعد فيها العلوم البديهية والعلوم الصادرة عن الحواس والعلم بحسن الشيء وقبحه ووجوب شكر المنعم وقبح الكفر والظلم والكذب والمتكلمة الصفاتية الذين قالوا انه بعض العلوم الضرورية لم يميزوه بتمييز مضبوط بل كبيرهم القاضي أبو بكر قرر انه بعض العلوم الضرورية كما تقدم وملخص تلك الحجة انه لايجوز الاتصاف بالعقل مع الخلو عن جميع العلوم أو بعضها فثبت انه من العلوم وليس هو من العلوم النظرية اذ شرط ابتداء النظر تقدم العقل فانحصر العقل اذاً في العلوم الضرورية ويستحيل أن يقال هو جميع العلوم الضرورية ومن لايدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه فاستبان بذلك ان العقل من العلوم الضرورية وليس كلها. وسبيل تعيينه والتنصيص عليه أن يقال كل علم لايخلو العاقل منه عند الذكر ولايشاركه فيه من ليس بعاقل اشارة الى العلوم الصادرة عن الحواس والعلوم بالآلام واللذات فانه يستوي فى دركها العقلاء وغيرهم من الاطفال والبهائم وهذا اذا قلنا للبهائم علوم بالمحسوسات فيخرج من مقتضي السبر انه العلوم الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات والعلم بان المعلوم لايخلو عن نفي أو اثبات والموجود لايخلو من القدم والحدوث والخبر لايخلو من الصدق والكذب وعد القاضي من ذلك العلم بمجارى العادات وهذه الحجة التى احتجوا بها ليست صحيحة وان كانت فى بادى الرأي مهيبة اذ مدار الحجة على انه لولم يكن من العلوم لامكن وجوده بدون العلم لعدم الدليل على تلازمهما وهم يعبرون عن هذه النكتة بعبارات تارة يقولون اذا كانا خلافين غير ضدين امكن وجود أحدهما مع ضد الآخر كالحياة والعلم والقدرة وتارة يقولون ماتقدم وتارة يجعلون ذلك كأنه مقدمة بينة أومسلمة فيقولون لولم يكن من العلم لجاز أن يخلو العاقل عن جميع العلم وكل هذا ضعيف فانه ليس كل خلافين يجوز وجود أحدهما مع ضد الآخر بل الخلافين قد يكونا متلازمين من الطرفين أومن أحدهما كالحس مع الحركة الارادية وكالحس مع العلم الحاصل عقيب الاحساس بل هذا شأن كل سبب تام بسببه وكل معلول علة وكل

متضايفين كالابوة والبنوة فانهما خلافين ومع هذا فهما متلازمان لايجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر فضلا عن ضده وقولهم لادليل حينئذ على تضمن أحدهما الآخر ليس بسديد لوجهين* أحدهما أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول عليه فى نفس الأمر فلا يكفى في نفى تلازمهما مجرد عدم دليله * الثاني اذا قدر أن العقل هو الغريزة كان العلم باستلزامه العلم ضروريا لايحتاج الى دليل فان وجود السمع شرط فى العلم كما ان وجود البصر مستلزم للقوة التى بها يسمع ويبصر والمشروط بدون شرطه محال وان كان هذا شرطا فى العادة والله قادر على خرق العادة فان الكلام فى الواقع لافيما يمكن وقوعه وأيضا فاذا قيل ان العقل اسم لمجموع الغريزة والعلم الحاصل بها كان ماذكروه بعض مسمى العقل فلا يوجد اسم العقل الامع وجوده وان لم يكن هو مجموع العقل وأيضا فمن المعلوم انه يدخل في مسمى العقل العمل الذي يختص به العقلاء من جلب المنفعة ودفع المضرة وهذا مما يفرق به بين العاقل والمجنون فى عرف الناس كما يفرق بينهما بعلوم ضرورية فليس جعله اسما للعلوم الضرورية بأولى من جعله اسما للاعمال الضرورية التى لايخلو العاقل منها فانه من رؤى يلقي نفسه فى نار أو ماء فيغرق أو نحو ذلك من المضار التي لافائدة فيها ونحو ذلك من الافعال الخارجة عن أفعال العقلاء سلب عنه العقل حتى ينتهى الى حدّ المجنون واذا كان كذلك فهم بين أمرين ان جعلوا هذه الاعمال أعمال العقلاء داخلة فى مسمى العقل بطل قولهم هو من جنس العلم فقط وان قالوا أفعال العقلاء دليل على العلم الذى هو عقل وكذلك أفعال المجانين دليل على فوات هذه العلوم قيل لهم فحينئذ قد صار العقل يستلزم أمورا ليست داخلة فى مسماه فلا يمتنع حينئذ ان يقال هو الغريزة المستلزمة لهذه العلوم كما قلتم هو العلوم المستلزمة لهذه الاعمال

﴿الوجه السابع﴾ ان هذا مما يبين كذب هذا الحديث المروى كما رووه فان العقل اذا كان فى لغة المسلمين هو عرض قائم بغيره لم يكن مما يخلق منفردا عن العاقل وانما يخلق بعد خلق العقلاء وأيضا فان مثل هذا لايخاطب ولايقبل ولا يدبر وأيضا فقوله ماخلقت خلقا اكرم على منك لايجوز ان يضاف الى الله تعالى فانه من المعلوم ان الانبياء والملائكة أكرم على الله منه اذ كان في بعض صفاتهم ولو قدر ان العقل في لغتهم يكون جوهرا أو ملكا وقدر ان هذا اللفظ قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجز ان يراد به مايقوله الفلاسفة ومن سلك سبيلهم لما بينا انه يدل على انه خلق

قبله خلقا آخر وأيضا فقوله بك آخذ وبك أعطي بك الثواب وبك العقاب خصه بهذه الاعراض وعندهم هو المبدع لكل ماسواه من العقول والنفوس البشرية والعناصر والمولدات فكيف يخصه باربعة أغراض وأيضا فقوله (لما خلقه قال له أقبل فاقبل) يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه وعندهم يمتنع ان يكون خلقه في زمان بل يمتنع ان يكون مخلوقا عندهم كما تقدم

﴿ الوجه الثامن ﴾ انهؤلاء سمعوا فى الحديث ان أول ماخلق الله القلم وهذا الحديث معروف ليس مثل الأول رواه أبو داود فى سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس وغيره من الصحابة لكن السلف متنازعون هل المراد بذلك أول ماخلقه من هذا العالم الذى خلقه فى ستة أيام كما قال (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وعلى هذا القول فالعرش كان مخلوقا قبل ذلك أو هو مخلوق قبل العرش على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمدانى وغيره والاحاديث الصحيحة تدل على القول الاول فقال هؤلاء ان ذلك الذي تسميه الفلاسفة العقل الأول هو القلم وهذا كثير فى كلامهم وفي كلام صاحب جواهر القرآن وهو نوع من كلام القرامطة * قال فى الجواهر واعلم ان القرآن والاخبار تشتمل على كثير من هذا الجنس فانظر الى قوله قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فان روح الأصبع القدرة على سرعة التقليب وانما قلب المؤمن بين لمة ملك ولمة شيطان هذا يهديه وهذا يغويه والله تعالى يقلب قلوب العباد كما تقلب أنت الاشياء باصبعيك وانظر كيف يشارك نسبة الملكين المسخرين الى الله تعالى أصبعك في روح الأصبعية وخالف فى الصورة واستخرج من هذا قوله ان الله خلق آدم على صورته وسائر الايات والاحاديث الموهمة عند الجهلة للتشبيه والذكى يتنبه بمثال واحد والبليد لايزيده التكثير الا تحيرا ومهما عرفت معني الاصبع امكنك الترقى الى القدم واليد واليمين والوجه والصورة وأخذت لجميعها أمرا روحانيا لاجسمانيا فتعلم ان روح القلم وحقيقته التي لابد من تحقيقها اذا ذكرت حد القلم وهو الذي يكتب به وان كان في الوجود شيء يسطر بواسطته نقش العلوم فى الواح القلوب فأخلق به ان يكون هو القلم فان الله علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وهذا القلم روحانى اذ وجد فيه روح القلم وحقيقته ولم يعوزه الا قالبه وصورته وكون القلم من خشب أو قصب ليس من حقيقة القلم ولذلك لايوجد فى حده الحقيقى ولكل شيء حد وحقيقة هي روحه فاذا اهتديت الى الأرواح صرت

روحانيا وفتحت لك ابواب الملكوت وأهلت لموافقة الملأ الأعلى وحسن أولئك رفيقا ولا تستبعد ان يكون في القرآن اشارات من هذا الجنس فان كنت لاتقدر علي مايقرع سمعك من هذا النمط مالم يسند التفسير الى الصحابة فان التقليد غالب عليك فانظر الى تفسير قوله تعالى على ماقاله المفسرون (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله)الآية وأنه كيف مثل العلم بالماء والقلوب بالأودية والينابيع والضلال بالزبد ثم نبهك في آخرها فقال كذلك يضرب الله الأمثال ويكفيك هذا القدر من هذا المعنى فلا تطيق اكثر منه *وبالجملة فاعلم ان كل مالا يحتمله فهمك فان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذى لو كنت فى النوم مطالعا بروحك اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى التعبير* واعلم ان التأويل يجرى مجرى التعبير انتهى كلامه فهذا الكلام ونحوه من جنس كلام الفلاسفة القرامطة فيما اخبر الله به من أمور الايمان بالله واليوم الآخر يجعلون ذلك أمثالا مضروبة لتفهيم الرب والملائكة والمعاد وغير ذلك والكلام عليهم مبسوط في غير هذا الموضع* وصاحب الجواهر لكثرة نظره في كلامهم واستمداده منهم مزج فى كلامه كثيرا من كلامهم وان كان قد يكفرهم بكثير مما يوافقهم عليه فى موضع آخر وفى أواخر كلامه قطع بان كلامهم لا يفيد علما ولا يقينا بل وكذلك قطع فى كلام المتكلمين وآخر ما اشتغل به النظر فى صحيح البخارى ومسلم ومات وهو مشتغل بذلك وانما المقصود هنا التنبيه على ماذكروه فان كثيرا اغتروا بهذا لانهم وجدوه في كلامه وحرمته عند المسلمين ليست مثل حرمة من لم يدخل في الفقه والتصوف دخوله ولهذا كثر فيه كلام أئمة طوائف الفقهاء والصوفية مثل أبي بكر الطرطوشى وأبى عبد الله المازرى المغربي وغيرهما من المالكية ومثل أبي الحسن المرغيانى وأبى البيان القرشى وأبي عمرو بن الصلاح وابن شكر وأولاد القشيرى وغيرهم من الشافعية ومثل أبي الوفاء بن عقيل وأبي الفرج بن الجوزى من الحنبلية مع ان هذين أقرب الى مذاهب النفاة من غيرهما من الحنبلية *وأما الحنفية فكلامهم فيه لون آخر وكانت قد جرت له قصة معروفة معهم ومع أصحاب الشافعية* وهذا الذى ذكره باطل من وجوه كثيرة* منها ان القلم اذا كان أول مخلوق وهو العقل عندهم لم يصح تفسيره بما ينقش العلم فى قلوب بنى ادم لان ذلك عندهم انما هو العقل الفعال وهو العاشر وأول مخلوق على زعمهم هو العقل الأول* الثانى ان

تسمية الملائكة التي يجعلونها هي العقول أقلام اذ تسمية بعضهم قلما شيء لا يعرف في كلام أحد من الامم لا حقيقة ولا مجازا اصلا فالتعبير بلفظ القلم عن ملك يكون عندهم قد أبدع هذا الوجود من أبطل الباطل *الثالث ان الذي في الحديث إن الله خلق القلم وأمره ان يكتب في اللوح قبل خلق بني آدم بل في صحيح مسلم ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فكيف يكون انما سمي قلما لانه ينقش العلوم في قلوب بني آدم *الرابع ان خاصية القلم كونه يكتب به فاذا قدر ان خاصية شيء من الاشياء ان يكتب به أمكن تشبيهه بالقلم أما اذا كانت له أفعال عظيمة غير ذلك فليس تشبيهه بالقلم باولى من تشبيهه بغير ذلك والعقل عندهم قد صدرت عنه الجواهر والمواد والصور وما يقوم به النفوس والاجسام من جميع الاعراض كالحياة والعلم والقدرة والكلام والاكوان والألوان والطعوم والروائح وغير ذلك فلأي شيء يسمى باسم عرض من الاعراض التي تصدر عنه دون ان يسمى بما تقتضيه سائر الاعراض بل والجواهر التي صدرت عنه وهو عندهم قد فاض الالواح التي يكتب فيها فهل يكون القلم مبدعا للوح وهل في الحديث ان اللوح تولد عن القلم أو مايشبه ذلك ولئن جاز تسمية هذا قلما فتسمية لسان الانسان قلما أقرب فانه جسم مستطيل مستدق الرأس يشبه القلم وهو اذا خاطب بالقلم نقش العلم في القلب وخاصيته هي التفهيم دون سائر الافعال وقد يقال للقلم أحد اللسانين فتسمية اللسان قلما أشبه وأنسب ومع هذا فلم يسمع ان النبي صلى الله عليه وسلم أو واحدا من الصحابة اراد بلفظ القلم اللسان كلسانه أو لسان الملك الذي نزل عليه فكيف اذا عبر به عما هو أبعد من ذلك* الخامس ان المسلمين يعلمون بالاضطرار ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بالقلم ماتريده الفلاسفة بلفظ العقل السادس انه من الذي قال مايوجد في قلوب بني آدم من العلم انما هو من فيض العقل الفعال الذي تقوله الفلاسفة فان دليل الفلاسفة على ذلك ضعيف بل باطل والكتب الالهية لم تخبر بذلك بل الاخبار الالهية تدل على تعدد مايلقي في قلوب بني آدم وانه ليس ملكا واحدا بل ملائكة كثيرون وقد وكلت بهم أيضا الشياطين فامتنع أن يكون في الوجود مايلقي العلم في القلوب على ماذكروه* السابع ان ماذكروه في حد القلم ليس مستقيما اذ لوصح لصح تسمية كل من علم العلم قلما وان كان القلم لايشترط في تسميته أن يكون من مادة مخصوصة فلا بد له من صورة من أي مادة كانت كما قال تعالى (لوأن مافي الأرض من

شجرة اقلام) وقال تعالى (اذيلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) الثامن * قوله لكل شئ حد وحقيقة هي روحه وهو انما عني به مثلا كونه كاتبا كما جعل حقيقة القلم وحده كونه ينقش العلم وجعل هذا الحد والحقيقة موجودة فى العقل ومعلوم بطلان هذا بالاضطرار فان حقيقة الجوهر الموجودة لاتكون مجرد كونه موصوفا بفعل منفصل عنه أومتصل به ولو قدر أن تلك الصفة توجد في حده لكانت فصلا تميزه عن غيره مع مشاركة غيره له في الجنس المشترك وذلك يمنع ثبوت الحقيقة لغيره أما أن يجعل هي الحد والحقيقة وحدها فهذا ظاهرا لبطلان (التاسع) انه قد ذكرنا ان للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره * أحدهما ان القلم خلق أولا كما اطلق ذلك غير واحد وذلك هو الذى يفهم فى الظاهر فى كتب من صنف فى الاوائل كالحافظ أبى عروبة بن أبى معشر الحرانى وأبى القاسم الطبراني للحديث الذي رواه أبو داود فى سننه عن عبادة بن الصامت انه قال يابني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ماأصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال يارب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة يابنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس منى * والثانى ان العرش خلق أولا قال الامام عثمان بن سعيد الدارمى في مصنفه فى الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدي حدثنا سفيان الثورى حدثنا أبوهاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيأ فكان أول ماخلق الله القلم فامره أن يكتب ماهو كائن وانما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه ورواه أيضا أبو القاسم اللالكائي فى كتابه فى شرح أصول السنة من حديث يعلي عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال قيل لابن عباس ان اناسا يقولون فى القدر قال يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لانصونه أى لآخذن بناصيته ان الله كان على عرشه قبل ان يخلق شيئا فخلق القلم فكتب ماهو كائن الى يوم القيامة وانما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه وكذلك ذكر الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات لما ذكر بدأ الخلق فذكر حديث عبد الله بن عمرو عن عمران بن حصين وغيرهما وسنذكر هذين الحديثين ان شاء الله تعالى ثم ذكر حديث الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس انه سئل عن قول الله تعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان على الماء قال على متن الريح وروى حديث القاسم بن ابي بزه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اول شيء خلقه الله القلم وامره فكتب كل شيء يكون قال البيهقي ويروي ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعا قال البيهقي وانما اراد والله اعلم اول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش القلم وذلك بين في حديث عمران بن حصين ثم خلق السموات والارض وفي حديث ابن ظبيان عن ابن عباس موقوفا عليه ثم خلق النون فدحا الارض عليها وروى باسناده الحديث المعروف عن وكيع عن الاعمش عن ابى ظبيان عن ابن عباس قال اول ماخلق الله عز وجل من شيء القلم فقال له اكتب فقال يارب وما اكتب قال اكتب القدر فجرى بماهو كائن من ذلك اليوم الى قيام الساعة قال ثم خلق النون فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطربت النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال لتبجر على الارض الى يوم القيامة (قلت) حديث عمران بن حصين الذي ذكروه هو مارواه البخارى من غير وجه منها مارواه في كتاب التوحيد في باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم * قال ابو العالية استوي الى السماء ارتفع وقال مجاهد استوى علا على العرش وذكر من حديث ابي حمزة عن الاعمش عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال انى عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه قوم من بني تميم فقال اقبلوا البشري يابني تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى ياأهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الامر قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتانى رجل فقال ياعمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فاذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم رواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن ابى اسحاق الفزارى عن الاعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت فأتاه نفر من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يابنى تميم قالوا بشرتنا فأعطنا فجاءه نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها اخوانكم من بنى تميم فقالوا قبلنا

يارسول الله أتيناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الامر كيف كان قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض قال ثم أتاني رجل فقال أدرك ناقتك قد ذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب وأيم الله لوددت اني كنت تركتها ففي الحديث الصحيح بيان انه كتب في الذكر ما كتبه بعد ان كان عرشه على الماء وقبل أن يخلق السموات والارض وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب أخبرني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء ورواه مسلم أيضا من حديث حيوة ونافع بن يزيد كلاهما عن أبي هانيء الخولاني مثله غير انهما لم يذكرا وعرشه على الماء وقد رواه البيهقي من حديث حيوة بن شريح اخبرني أبو هانيء الخولاني انه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ورواه البيهقي أيضا من حديث ابن أبي مريم حدثنا الليث ونافع بن يزيد قالا حدثنا أبو هانيء عن أبي عبد الرحمن والحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الله من المقادير أمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وعرشه على الماء بخمسين الف سنة ففي هذا الحديث الصحيح مافي ذلك الحديث من أنه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض لكن بين فيه مقدار السبق وان ذلك قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة وقد ضبط هذه الزيادة الأمامان الفقيهان الليث بن سعد وعبد الله بن وهب فقوله في الحديث فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وعرشه على الماء بخمسين الف سنة يوافق حديث عبادة الذي في السنن انه لما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب قال ماهو كائن الى يوم القيامة وكذلك في حديث ابن عباس وغيره وهذا يبين انما أمره حينئذ أن يكتب مقدار هذا الخلق الى قيام الساعة لم يكتب حينئذ مايكون بعد ذلك وهذا يؤيد حجة من جعله أول المخلوقات من هذا الخلق الذى أمره بكتابته فانه سبحانه كتبه وقدره قبل أن يخلقه بخمسين الف سنة وبكل حال فهذه الاحاديث التى فى الصحاح والسنن والمسانيد.

والآثار التي عن الصحابة والتابعين تبين ان هذا القلم ليس مايدعيه هؤلاء انه الذى يسمونه العقل الاول أو الفعال فانه أمره أن يكتب فقط لا ان يفعل شيئا غير ذلك والعقل عندهم أبدع جميع الكائنات وأمره أن يكتب في الذكر وهو اللوح فيكون اللوح قد خلق قبل أن يكتب القلم شيأ اذ الكتابة لاتكون الا فى لوح وأيضا فانه أمره بالكتابة ففرغت تلك الكتابة كما قال فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وعندهم القلم اذا فسروه بالعقل الذى ينقش العلوم فى قلوب بنى آدم كتابته دائمة كلما حدث انسان كتب فى قلبه مايكتبه الى موته وكذلك ان فسروه بالعقل الاول فان كتابته دائمة وأيضا فانه كتب في الذكر المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعندهم ان العقل مقارن للسموات لم يتقدمها وأيضا فاخباره في الحديثين الصحيحين بما يوافق القرآن من ان العرش كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض وذكره فيهما أن التقدير وهو الكتابة بالقلم كان بين ذلك كما جاء عن الصحابة يبطل ان يكون العقل الاول هو أول المخلوقات وان سموه هم قلما بل يبطل ان يكون القلم الذى ذكره السلف أيضا مخلوقا قبل العرش وفى ذلك آثار متعددة قال عثمان بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء وقال أيضا ثنا عبدالله بن صالح المصرى ثنا بن لهيعة ورشدين بن سعد عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال لما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق شيئا اذ كان عرشه الماء واذ لا أرض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه وآثار ركامه فأخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وروى البيهقى من حديث الاشيب ثنا أبو هلال محمد بن سليم ثنا خباب الاعرج قال كتب يزيد بن أبي مسلم الى جابر بن زيد يسأله عن بدء الخلق قال العرش والماء والقلم والله أعلم أى ذلك بدأ قبل وروى من حديث سعيد بن منصور ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال بدأ الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وقال بدء الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء وخلق الاقوات ونبات الارض يوم الخميس وجمع الخلق يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وروى باسناده عن الشيباني عن عون ابن عبد الله عن أخيه عبيد الله عن أبى هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان فى الجمعة

ساعه لا يوافقها أحد يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه اياه قال فقال عبد الله بن سلام ان الله ابتدأ الخلق فخلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق السموات يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق الاقوات وما في الارض يوم الخميس الى صلاة العصر وهي مابين صلاة العصر الى أن تغرب الشمس والآثار في هذا كثيرة وان كان قد تنوزع هل كان بدء خلق هـذا العالم يوم السبت أو يوم الاحد وقد روى في ابتداء يوم السبت حـديث رواه مسلم فالذى عليه الجمهور وعامة الاحاديث ان ابتـداءه يوم الاحـد فاذا ثبت بالنصوص الصحيحة ان العرش خلق أولا وان التقدير كان لهذا الخلق بطل أصـل حجتهم* ومما يوضح ذلك ما ذكره البخارى في صحيحه في كتاب بدء الخلق فقال وروي عيسى عن رقبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر يقول قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه فهو قد ذكر المبتدأ وجعل المنتهى دخول الدارين ومعلوم ان مايكون بعد ذلك من تفاصيل أحوال أهل الدارين لم يدخل في هذا فعلم انه أريد بهذا الخلق وذكر البخارى أيضا الحديث الذي في الصحيحين عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضي الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي فقوله لما قضى الله الخلق أي أكمله وأتمه كما قال (فقضاهن سبع سموات في يومين) ومعلوم ان المراد بالخلق هنا خلق هذا العالم لا خلق الدار الآخرة وهو الاعادة فانه قال سبحانه (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيـده) وهذا كله يشهد لأن هذا الخلق هو المقدم على القلم كما تقدم فان قيل قد احتج طوائف من أهل السنة على ان القرآن غير مخلوق بهذه الآثار وهي قوله أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب قالوا فبين انه أول مخلوق وان خاطبه بالكتابة ولو كان كلامه مخلوقا لكان يفتقر الى محل يقوم به ولكان كلامه مخلوقا قبل القلم فانه خلقه بكلامه قيل قد يقال حجتهم مستقيمة وان كان العرش قبله فان الذين يقولون القرآن مخلوق يقولون هو مخلوق من المخلوقات في هذا العالم كسائر ماخلق فيه من الجواهر والاعراض وهو عند أكثرهم عرض خلقه قائما ببعض أجسام العالم كما يخلق أصوات الرياح ونحوها وعند بعضهم هو جسم وعلى التقديرين هو عندهم جزء من هذا العالم فاذا ثبت ان أول ماخلقه من هذا العالم القلم بطل أن يكون خلق قبله شيأ من هذا العالم

﴿ الوجه العاشر ﴾ ان النصوص والآثار المتواترة عن النبي صلي الله عليـه وسلم وأصحابه

والتابعين متطابقة على مادل عليه القرآن من أن الله خلق السموات والارض فى ستة أيام وان كان العرش مخلوقا قبل ذلك وهذا أيضا متفق عليه بين أهل الملل كاليهود والنصارى وهو مذكور فى التوراة وغيرها كما ذكر في القرآن ولهذا شرع الله لاهل الملل اجتماع أهل المدينة في كل أسبوع يوما يعبدون الله فيه ويتخذونه عيداً وجعل للمسلمين يوم الجمعة الذى جمع فيه الخلق ففى الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة وحذيفة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وفى لفظ المقضي بينهم وفى المسند عن أبي هريرة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لأي شئ سمي يوم الجمعة قال لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم وفيها الصعقة والبعثة وفيها البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له وفي المسند أيضا عن سلمان الفارسى قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أندرى مايوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه أبوكم قال لكنى أدري مايوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضى الامام صلاته الا كان كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وفى السنن الثلاثة والمسند عن أويس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علىّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علىّ قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي يقولون قد بليت أي صرت رميما فقال ان الله عز وجل حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء صلوات الله عليهم * ولما ثبت بهذه الاحاديث التي فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها ان آدم خلق يوم الجمعة وثبت انه آخر المخلوقات بلا

نزاع علم ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد لان القرآن قد أخبر ان الخلق كان في ستة أيام وبهذا النقل المتواتر مع شهادة ما عند أهل الكتاب على ذلك وموافقة الاسماء وغير ذلك علم ضعف الحديث المعارض لذلك مع انه في نفسه متعارض والحديث قد رواه من طريق ابن جريج أخبرني اسماعيل بن أمية عن أيوب بن أبي خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل فهذا الحديث قد بين ما يوافق سائر الاحاديث من ان آدم خلق يوم الجمعة وانه خلق آخر الخلق ومعلوم بنصوص القرآن ان الخلق كان في ستة أيام وذلك يدل على ماوقع فيه من الوهم بذكر الخلق يوم السبت والمقصود هنا انه من المعلوم ان الأسبوع ليس له حدّ موجود في السماء كما يوجد في اليوم والليلة والشهر بل انما يعد عداً لان الله خلق هذا الخلق في ستة أيام ثم استوى على العرش فانتشرت أيام الأسبوع في العالم من جهة أخبار الانبياء ولم يعلم ذلك الا من أخذ عنهم ولهذا كانت الامم الذين لم يتلقوا ذلك ليس لايام الأسبوع في لغتهم ذكر بحال كالترك والبربر واذا نطقوا بها نطقوا بلغة الفرس مثلا أو العرب فكان في هذا الاجتماع العام حفظ لايام الاسبوع وفيه تذكير بالاسبوع الاول الذي خلق الله فيه الخلق ومعلوم ان هذا الاجتماع والاخبار بالخلق في ستة أيام معلوم بالاضطرار من دين أهل الملل وهؤلاء عندهم ان هذه السموات مازالت هكذا ولا تزال هكذا متحركة على هذا الوجه من الازل الى الابد ولا يزال العقل الاول أو الفعال الذي يسموه بالقلم هذا أو هذا مقارنا لها وليس عندهم قيامة تنشق فيها السموات وتنفطر ويستحيل عندهم أن تكون السموات مسبوقة سبقا زمانيا بشئ من الاشياء لا بربه ولا بعرشه ولا بغير ذلك فضلا عن أن تكون مسبوقة بتقدير مقاديرها بخمسين الف سنة فهل يمكن أن يكون ما أخبر به الانبياء مطابقا لقولهم وان يكون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أراد بما أخبر به مايريده هؤلاء بما يذكرونه من فلسفتهم هذا مما يعلم كل من فهم الكلامين انه باطل بالاضطرار وان الكلامين متنافيان قطعا وان كان في بعض ما يقولونه ما هو موافق لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا لا بد

منه في كلام كل طائفة بل نحن نعلم بالاضطرار ان اليهود والنصاري كفار في دين الاسلام ونعلم بالاضطرار انهم أكثر موافقة لما أخبر به الرسول ولما أمر به من هؤلاء. فكيف يمكن دعوى موافقة هؤلاء له بل هذا من أعظم الجهل والنفاق والمنافقون في الدرك الاسفل من النار وإن كان قد تحقق بعض الكفر والنفاق على بعض المؤمنين ويغفر الله له اذا كان مؤمنا إيمانا صحيحا مع جهله ببعض ماأخبر به الرسول وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم عن معمر قال قال الزهري ألا أحدثك بحديثين عجيبين قال الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصي بنيه فقال اذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحداً قال ففعلوا ذلك فقال الله للأرض أدّ ما أخذت فاذاهو قائم فقال له ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وقال الزهري وحدثني حميد عن أبي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت قال الزهري ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل وهو في الصحيح أيضا من حديث مالك وغيره عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا أنا مت فحرقوني ثم اذروا نصفي في البر ونصفي في البحر فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابا لايعذبه أحداً من العالمين فلما مات فعلوا ماأمرهم فأمر الله البر فجمع مافيه وأمر البحر فجمع مافيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر الله له وقد بسطنا الكلام على هذا الحديث في مسئلة التكفير وما فيها من اضطراب الناس في غير هذا الموضع وبينا ان من تأول قوله في هذا الحديث قدر بمعني ضيق أو بمعنى قضي فلم يصب مقصود الحديث وبينا ان المؤمن الذى لاريب في إيمانه قد يخطيء في بعض الامور العلمية الاعتقادية فيغفر له كما يغفر له مايخطيء فيه من الأمور العملية وان حكم الوعيد على الكفر لايثبت في حق الشخص المعين حتي تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وان الامكنة والازمنة التي تفترفيها النبوة لايكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ماجاءت به خطأ كما يكون حكمه في الامكنة والأزمنة التى ظهرت فيها آثار النبوة

وذكرنا حديث حذيفة الذى فيه يأتي على الناس زمان لايعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجاً الا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولان أدركنا آباءنا وهم يقولون لاإله الا الله فقيل لحذيفة مايغنى عنهم قول لاإله الا الله وهم لايعرفون صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا قال تنجيهم من النار تنجيهم من النار وذكرنا ان قول النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا دعاء قد استجابه الله كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة وابن عباس ففى صحيح مسلم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله مافي السموات وما فى الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا يارسول الله كلفنا من الاعمال مانطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون * كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله (لايكلف الله نفسا الا وسعها لهاما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) قال نعم (ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال نعم وفي صحيح مسلم أيضا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لمانزلت هذه الآية (وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا قال فالقى الله الايمان فى قلوبهم فانزل الله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لهاما كسبت وعليها مااكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قد فعلت

﴿ الوجه الحادي عشر ﴾ قوله لا تستبعد ان يكون في القرآن اشارات من هذا الجنس ان أراد أن مثل هذه الاشارة تكون هي معنى الكلام ومقصوده فهذا تحريف الكلم عن مواضعه والحاد في آيات الله من جنس ضلال القرامطة وأمثالهم من الملاحدة وان أراد ان الآية مع دلالتها على المعنى الذي يدل عليه لفظها قد يكون فيها اشارة الى معنى آخر يناسبه فهذا هو القياس والاعتبار فالذي تريده الصوفية بالاشارة هو الذي يريده الفقهاء بالقياس والاعتبار وهذا صحيح اذا روعيت شروطه عند أكثر العلماء ومعلوم ان مراده هنا هو القسم الاول فهو من جنس كلام القرامطة الملاحدة وأما ما استشهد به من قوله تعالى (أنزل من السماء ماء) فيقال لا خلاف بين المسلمين ان في القرآن أمثالا في هذه الآية وفي غيرها بل يقال فيه أكثر من أربعين مثلا ومعلوم ان المثل ليس هو الممثل به بل يشبهه من جهة المعنى المشترك وهذا شأن كل قياس وتمثيل واعتبار كما في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) الآية وقوله (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) الآية وأمثال ذلك وقوله (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية وهذه الآية وهي قوله (أنزل من السماء ماء) هي أيضا على ظاهرها كسائر الآيات مع تضمنها للمثل المذكور فانه سبحانه قال (أنزل من السماء ماء) وهو على ظاهره وهو الماء المعروف فانه أخبر بانزاله ثم أخبر بعد ذلك بالزبد الذي يخرج مما يوقد عليه النار ابتغاء حلية أو متاع ثم قال بعد ذلك ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فلما ذكر المثل والتشبيه وهذا من الامثال الذى قال في آخرها ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ فقد صرح فيها بانه يضرب الامثال كما ضرب هذا المثل وقد بين سبحانه الاصل المشبه به ثم ذكر المشبه فانطبق الكلام على حقيقته وظاهره ومن توهم انه أراد مجرد العلم كما توهمه المتوهم فقد غلط لكنه أراد به أولا هذا الماء وجعله مثلا مضروبا للعلم كما في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به فهذا الحديث مثل الآية

كلاهما بين فيه الممثل والممثل به وهل يجوز أن يراد بالكلام ما مثل به ولا يراد به عين المسمي باللفظ من غير دلالة ينصبها على ذلك ومعلوم ان هذا من جنس الاستعارة والتشبيه فهل يحمل اللفظ على ذلك بمجرده وإن ساغ ذلك ساغ أن يقال (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) انه على ابن أبي طالب وغيره ويقال في اللؤلؤ والمرجان إنهما الحسن والحسين لان هذا مات مسموما وهذا مات مقتولا وأمثال ذلك من تأويلات القرامطة الذين يحملون اللفظ على غير مسماه المعروف بمجرد شبه بينهما من غير دلالة بل ولا استعمال لذلك اللفظ فى ذلك المعنى الثانى فى اللغة

﴿ الوجه الثانى عشر ﴾ قوله وان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذى لو كنت في النوم مطالعا بروحك اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى التعبير يتضمن أصلين فاسدين ليسا من أصول المسلمين بل من أصول الفلاسفة الضالة وهى أن ما يخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء من أمور الغيب انما هو من جنس المنامات التي يراها الناس فان النائم تضرب له الامثال في منامه بنوع يشابه تأويل الرؤيا ولهذا كان مدار تأويل الرؤيا على معرفة القياس والاعتبار والرؤيا الصادقة وان كانت جزأ من ستة وأربعين جزأ من أجزاء النبوة وفى الصحيحين كان أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فرؤيا الانبياء كما قال ابن عباس وحى وقد لا تحتاج الى تعبير كما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده فأصبح يريد أن يذبحه حتى فداه الله وهذا قول المسلمين واليهود والنصارى خلاف مازعمه بعض الملاحدة كصاحب النصوص من أن رؤياه كان تعبيرها ذبح الكبش وأن ابراهيم غلط في ذلك فلم يعرف تعبير الرؤيا حتى فداه ربه من وهم ابراهيم ما هو فداء فى نفس الامر وأنه قال ان هذا لهو البلاء المبين أي الاختبار المبين أى الظاهر يعني الاختبار في العلم هل يعلم مايقتضيه موطن الرؤيا من التعبير أم لا لأنه يعلم أن موطن الخيال يطلب التعبير قال فغفل ابراهيم فما وفى الموطن حقه ومعلوم عند كل مسلم أن هذا ليس من أقوال من يؤمن بالرسل ويقدر قدرهم لا سيما ابراهيم الخليل خير البرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح أنه خير البرية ورواه مسلم فى صحيحه وهو الامة أي القدوة لجميع المؤمنين بعده وهو الذى جعله الله للناس إماما واتخذه خليلا وقد قال (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا

واتخذ الله ابراهيم خليلا) بل من رؤيا المؤمنين مايكون مطابقا للظاهر لايحتاج الى تأويل فاذا كان فى رؤيا المؤمنين والانبياء مالا يحتاج الى تعبير بل يكون المرئي فى المنام هو الموجود فى اليقظة فكيف يكون القرآن كلام الله الذى أنزله بلسان عربي مبين وجعل هدى وبيانا مشتملا على ماهو من جنس أحاديث الرؤيا المفتقرة الى التعبير ثم كيف يكون ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة والتابعون لم يتأولوا القرآن ولم يعبروه بما يخالف مقتضاه ودلالته كما كانوا كثيرا مايعبرون الرؤيا بما يخالف الظاهر المعروف منها والحقائق المخبر بها الظاهرة المعروفة فى القرآن من أمر اليوم الآخر ونعوت الربوبية وان كانت ليست مماثلة في الحقيقة الحقائق الموجودة فى الدنيا كما قال ابن عباس ليس فى الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء رويناه من حديث وكيع عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس فذلك لايقضى أن يكون الكلام دل عليها بطريق الحقيقة بل لايمنع أن تكون هى الاسماء المذكورة فى القرآن أحق من مسميات الدنيا حتي يقال ان دلالتها على مدلولها لاحقيقة له الامايدل عليه بطريق التعبير كالرؤيا اذ من المعلوم أن مارآه يوسف من سجود القمرين والكواكب ورؤيا الملك من البقر والسنبل لم يكن موجودا فى الخارج وانما هو فى نفسه ومدلوله فى الخارج سجود أبويه وإخوته وسنين الخصب والجدب فهل يقول من يؤمن بالله ورسله انما أخبر به الرسول من صفات ربه وصفات الملائكة واليوم الآخر وغير ذلك انما هي أمور ذهنية لاوجود لها فى الخارج بل لها تعبير كالرؤيا وهل هذا إلا نسبة الرسل الى الكذب الصريح فان الخبر الذى يقوله الرائى لو أطلقه ولم يقل فى المنام وأراد به تأويل الرؤيا لكان كاذبا باتفاق العقلاء فلو قال مخبرا سجدلى الشمس والقمر والكواكب ولم يقل فى المنام أوقال رأيت بقراسمانا يأكلهن سبع عجاف ولم يقل فى المنام لكان كاذبا وكذبه جميع الناس اذ اللفظ لايدل على ذلك لاحقيقة ولامجازا ولوكان مجازا لم يجز ذكره الابقرينة تبين المراد واذا قال رأيت هذا فى المنام كان مصدقا في انه رأى فى المنام كذلك وان لم يكن تأويله فى اليقظة كذلك لعلم الناس أن مايرى في المنام لايجب أن يكون هو التأويل في اليقظة بل يكون مشابها له من بعض الوجوه ولم يقل أحد من الامم إن مجرد المشابهة التى بين المرئى في المنام وبين تأويل الرؤيا تكفي في استعمال اللفظ على وجه الاستعارة بل لو تخاطب الناس بمثل هذا لم يفهم أحد ماأراده غيره وللاستعارة والتشبيه حدود معروفة في الخطاب وأما الرؤيا

وتأويلها فباب لا ينضبط له حد وقد يكون تأويلها لا يشبهها الا بوجه بعيد لا يهتدي له الاحذاق المعبرين ولا ريب أن هذا الذي ذكره هو من أصول الفلاسفة القرامطة الباطنية في ردهم ما أخبر به الرسول من المعاد وغيره الى أمثال مضروبة لكن أهل الملل يعلمون بالاضطرار أن هذا باطل وأن هذا نسبة للانبياء الى الكذب الصريح ويعلمون بالاضطرار أن الرسل لم تقصد مجرد مايذكرونه ثم من المعلوم أن الرؤيا ان لم يعلم تعبيرها لم يكن فيها فائدة قد يضل الرائي اذا حملها على ظاهرها فاذا كان القرآن ونحوه كذلك لابد له من مثل هذا التعبير وهو التاويل عند هؤلاء القرامطة فأحق الناس بمعرفة ذلك الصحابة ولا بد أن ينبه الرسول ولو لخواصهم بل يجب أن يبين أيضا لعوامهم والا كان ذلك اضلالا لهم ودعاء لهم الى العقائد الفاسدة ومن المعلوم بالتواتر علما ضروريا لمن له خبرة متوسطة بأحوال الصحابة أنهم كانوا أعظم الخلق منافاة لمثل هذه التحريفات التي يسمونها التعبير والتأويل خاصتهم وعامتهم وأن جميع ماينقل عنهم مما يخالف الظاهر المعروف فهو كذب مفتري مثل ما يزعم أهل البطاقة والجفر ونحو ذلك مما يدعونه من العلوم الباطنة المنقولة عن علي كرم الله وجهه وأهل البيت رضي الله عنهم وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة الثابتة عن علي رضي الله عنه المتلقاة بالقبول ما يكذب ذلك كقوله لما قيل له هل عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لم يعهده الى الناس فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وما في هذه الصحيفة فكان فيها العقل يعني عقل القتيل وهو أسنان الديات وفيها افتكاك الأسير وفيها لا يقتل مسلم بكافر وكذلك في الصحيح عنه أنه قال ماعندنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب نقرؤه الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة * وفيها المدينة حرام مابين عير الى ثور من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * ونحو ماتقدم ومثل هذا عن علي رضي الله عنه وكذلك مايذكره بعض الناس عن عمر أنه قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما) فان هذا كذب باتفاق أهل المعرفة لم يروه أحد منهم لا باسناد صحيح ولا ضعيف ولا يذكره الا من هو أجهل خلق الله باحوال الصحابة رضي الله عنهم وان كان في من يذكره من ينتسب الى التحقيق والتوحيد والعرفان وأما حديث أبي هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم فهذا صحيح

لـكن الذي كان في الجراب الآخر انما هو الاخبار عن الفتن التى تكون في الامة كما قال ابن عمر لو حدثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتـكم وتخربون بيت ربكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة ولم يكن في الجراب باتفاق العلماء مايدعيـه هؤلاء ولا كان أبو هريرة عندهم من الخواص الذي ينفرد بعلم أسرارهم وحقائقهم وانما الذي يذكر عنه أنه صاحب السر الذى لايعلمه غيره هو وحذيفة وكان ذلك السر معرفته بأعيان المنافقين وكان أحفظهم لاحاديث الفتن لالأنه خص بعلمها بل لانه اعتنى بها كما ثبت ذلك عنه ثم كيف يصح أن يكون القرآن بمنزلة أحاديث الرؤيا هذا . والقرآن موصوف بانه هدى وبيان للناس وأن على الرسول البلاغ المبين وأي بيان أو بلاغ مبـين فيما هو من جنس الرؤيا التي لها تعبير ولم يخبر بتعبـيره ومن المعلوم أن هذه الاحاديث النبوية المتواترة وآثار الصحابة والتابعين كلها توافق مايفهم من القرآن وتمنع أن يكون المراد مايراد بالرؤيا من التعبـير ثم هل يقول مؤمن عاقل ان الشمس والقمر والنجوم في قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره تاويلها من جنس تاويل قول يوسف رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وان السنبل في قوله مثـل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثـل حبة أنبتت سبع سنابل من جنس السنبلة فى قول الملك سبع سنبلات خضر وان البقر فى قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقـرة وفى قوله ومن البقر اثنين قل آلذكرين كالبقر فى قول الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وان المراد بالخمر في قوله انما الخمر والميسر كالمراد بالخمر فى قول أحد صاحبي السجن اني أراني أعصر خمرا وأمثال ذلك ولـكن من زعم أن مارآه الخليل من الكواكب والقمر والشمس هى اشارات الى أمور من هذا الجنس كالنفس والعقل لم ينكر أن يقول مايشابه هذا ومن طرد هذا القياس جعل المراد بالصلاة معرفة أسرارهم. والمراد بالصوم كتمان أسرارهم .والمراد بالحج قصد شيوخهم المقدسين. وبيدا أبى لهب أبابكر وعمر وباللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين وبعلمت نفس ماقدمت وأخرت علم جبرائيل بتقديم محمد وتأخير علي. وبأئمة الكفر طلحة والزبير. وبلئن أشركت ليحبطن عملك لئن أشركت بين أبي بكر وعلي فى الولاية. ونحو ذلك من تأويلات القرامطة فانهم أئمة هذا التأويل الذين كانوا به أضل الناس عن سواء السبيل وهو في الأصل انما صدر عن زنادقة منافقين أرادوا التلبيس به على جهال المسلمين فوافقوهم فى الظاهر وخالفوهم في الباطن إذا لقوا

الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وذكر مثل هذا طويل ليس هذا موضع استقصائه *الاصل الثاني من الاصلين الفاسدين كون روح العبد تطالع اللوح المحفوظ فان هذا هو قول هؤلاء المتفلسفة القرامطة إن للوح المحفوظ هو العقل الفعال أو النفس الكلية وذلك ملك من الملائكة وان حوادث الوجود منتقشة فيه فان اتصلت به النفس الناطقة فاضت عليها وكل من علم ماجاء به الرسل يعلم بالاضطرار أن مراده باللوح المحفوظ ليس هو هذا ولا اللوح المحفوظ ملك من الملائكة باتفاق المسلمين بل قد أخبر الله أنه قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون*لا يمسه الا المطهرون) كما قال في الآية الاخرى (فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) وقال (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وقال (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) وقال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) وقال (ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء) على أصح القولين وقال (ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير) وقال (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) ولم يقل أحد من علماء المسلمين ان أرواح كل من رأى مناما تطلع على اللوح المحفوظ بل قد جاء في الحديث أنه لا ينظر فيه غير الله عز وجل فى حديث أبي الدرداء ثم اللوح المحفوظ فوق السموات والنفس والعقل اللذان يذكرونهما متصلتان بفلك القمر دون مافوقهما من العقول والنفوس*وقوله ان كنت لا تقوى على احتمال مايقرع سمعك من هذا النمط مالم تسند التفسير للصحابة فان التقليد غالب عليك*يقال له انما لم أحتمل هذا النمط لاني أعلم بالاضطرار أنه باطل وان الله لم يرده فردّي للقرمطة فى السمعيات كردي للسفسطة فى العقليات وذلك كردي لكل قول أعلم بالاضطرار انه كذب وباطل ولو نقل مثل هذا النمط عن أحد من الصحابة والتابعين لعلمت انه كذب عليهم ولهذا تجد القرامطة ينقلون هذا عن علي عليه السلام ويدعون ان هذا العلم الباطن المخالف لما علم من الظاهر مأخوذ عنه ثم لم يستفيدوا بهذا النقل عن علي رضى الله عنه عند المسلمين الا زيادة كذب وخزى فان المسلمين يعلمون بالاضطرار ان

عليا لايقول مثل هذا واهل العلم منهم قد علموا بالنقول الصحيحة الثابتة عن علي مايبين كذب هذا ويبين ان هذا من ادعى على عليّ انه كان عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم علم خصه به فقد كذب كما هو مبسوط فى غير هذا الموضع وقد دخل كثير من هذه القرمطة في كلام كثير من المتصوفة كما دخل في كلام المتكلمة وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب حقائق التفسير قطعة من هـذا الجنس عن جعفر الصادق رضي الله عنه. واهل العلم بجعفر وأحواله يعلمون قطعا ان ذلك مكذوب على جعفر كما كذب عليه الناقلون عنه الجدول في الهلال وكتاب الجفر والبطاقة والهفت واختلاج الاعضاء والرعود والبروق ونحو ذلك مما هو من كلام أهل النجوم والفلاسفة ينقلونه عن جعفر وأهل العلم بحاله يعلمون ان هذا كله كذب عليه بل أعجب من ذلك ظن طوائف ان كتاب رسائل اخوان الصفا هو عن جعفر الصادق وهـذا الـكتاب هو أصل مذهب القرامطة الفلاسفة فينسبون ذلك اليه ليجعلوا ذلك ميراثا عن أهل البيت وهذا من أقبح الـكذب وأوضحه فانه لا نزاع بين العقلاء ان رسائل اخوان الصفا انما صنفت بعد المائة الثالثة فى دولة بني بويه قريبا من بناء القاهرة وقد ذكر أبو حيان التوحيدى فى كتاب المتاع والمؤانسـة من كلام أبي الفرج بن طراز مع بعض واضـعيها ومناظرته لهم ومن كلام أبي سليمان المنطيقى فيهم وغير ذلك ما يتبين به بعض الحال وفيها نفسها بيان انها صنفت بعد ان استولى النصارى على سواحل الشام ومن المعلوم بالتواتر ان استيلاءهم على سواحل الشام كان بعد المائة الثالثة وجعفر رضى الله عنه توفى سنة ثمان وأربعين ومائة قبل وضع هـذه الرسائل بنحو مائتى سنة فهذا وأمثاله يبين ان نقل مثل هذه التحريفات التى قـد سماها تأويلا وتعبيرا عن الصحابة وأهل البيت والمشايخ لايزيدها عنـد أهل العلم والايمان الا علما بكذب منتحليها وعلما بجهلهم وضلالهم فلا يظن ان مجرد النقل والرواية ينفق الباطل عند أهل العلم والايمان كما قد ينفق عليه وعلى أمثاله من النقول الباطلة مالا يعلمه الا الله لقلة علمهم بالحـديث والآثار وأحوال السلف وعلومهم كما ينفق عليهم من المعقولات الفاسدة مالا يعلمه الا الله تعالى فان أهل العلم والايمان مؤيدون بصحيح المنقول وصريح المعقول * وأما التفسير الثابت عن الصحابة والتابعين فذلك انما قبلوه لانهم قد علموا ان الصحابة بلغوا عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ القرآن ومعانيه جميعا كما ثبت ذلك عنهم مع ان هذا مما يعلم بالضرورة من عادتهم فان الرجل

لو صنف كتاب علم في طب أو حساب أو غير ذلك وحفظه تلامذته لكان يعلم بالاضطرار ان هممهم تشوف الى فهم كلامه ومعرفة مراده وان بمجرد حفظ الحروف لا تكتفى به القلوب فكيف بكتاب الله الذى أمر ببيانه لهم وهو عصمتهم وهداهم وبه فرق الله بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي وقد أمرهم بالايمان بما أخبر به فيه والعمل بما فيه وهم يتلقونه شيئا بعد شئ كما قال تعالى (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) الآية وقال تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) وهل يتوهم عاقل انهم كانوا انما يأخذون منه مجرد حروفه وهم لا يفقهون ما يتلوه عليهم ولا ما يقرؤنه ولا تشتاق نفوسهم الى فهم هذا القول ولا يسألونه عن ذلك ولا يبتدئ هو ببيانه لهم هذا مما يعلم بطلانه أعظم مما يعلم بطلان كتمانهم ما تتوفر الهمم والدواعى على نقله ومن زعم انه لم يبين لهم معاني القرآن أو انه بينها وكتموها عن التابعين فهو بمنزلة من زعم انه بين لهم النص على علي وشيأ آخر من الشرائع والواجبات وانهم كتموا ذلك أو انه لم يبين لهم معني الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك مما يزعم القرامطة ان له باطنا يخالف الظاهر كما يقولون ان الصلاة معرفة أسرارهم والصيام كتمان أسرارهم والحج زيارة شيوخهم وهو نظير قولهم ان أبا بكر وعمر كانا منافقين قصدهما اهلاك الرسول وان أبا لهب أقامهما لذلك وانهما يدا أبي لهب وهو المراد في زعمهم بقوله (تبت يدا أبي لهب وتب) وقولهم ان الاشراك الذي قال الله (لئن أشركت ليحبطن عملك) هو اشراك أبي بكر وعلي في الولاية وان الله أمره باخلاص الولاية لعلي دون أبي بكر وقال لئن أشركت بينهما ليحبطن عملك ونحو ذلك من تفسير القرامطة فقولنا بتفسير الصحابة والتابعين لعلمنا بانهم بلغوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم مالم يصل الينا الا بطريقهم وانهم علموا معنى ما أنزل الله على رسوله تلقيا عن الرسول فيمتنع أن يكون نحن علمنا من القرآن ما يناقض ما علموه فان ذلك يوجب أن نكون نحن مصيبين فى فهم القرآن وهم مخطؤن وهذا يعلم بطلانه ضرورة عادة وشرعا

﴿الوجه الثانى من الحادى عشر﴾ ان أبا حامد فى كتاب (التفرقة بين الايمان والزنادقة) مع انه قد توسع فيه في تأويلات المحرفين غاية التوسع وذكر فيه من الأمور ما قد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الموضع جزم بكفر هؤلاء كما جزم به سائر علماء المسلمين كما جزم بكفرهم فى

التهافت وغيره ورد أيضا التأويلات التي ذكرها في مشكاة الانوار وغيره فقال (فصل) من الناس من يبادر الى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغي أن يبادر الى تكفيره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظاهرها بل هي جواهر روحانية ملكية ونورانيتها عقلية لا حسية ولها درجات متقاربة في الكمال نسبة ما بينهما من التفاوت نسبة ما بين الكوكب والقمر والشمس ويستدل عليه بأن الخليل أجل من أن يعتقد في جسم انه الاله حتي يحتاج الى أن يشاهد أفوله أفترى انه لو لم يأفل أكان يتخذه إلها ولم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرا واستدل بانه كيف يمكن أن يكون أول ما رأى الكوكب والشمس هي الاظهر وهي أول ما تبدو واستدل بأن الله قال أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكى هذا القول فكيف يمكن أن يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت وهذه دلالات ظنية وليست براهين قاطعة * أما قوله هو أجلّ من ذلك فقد قيل انه كان صبيا لما جرى له ذلك ولا يبعد أن يخطر لمن سيكون نبيا في صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه على قرب ولا يبعد أن تكون دلالة الأفول على الحدوث عنده أظهر من دلالة التقدر والجسمية وأما رؤية الكوكب أولا فقد روي انه كان في صباه محبوسا في غار وانما خرج بالليل وأما قوله أولا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات فيجوز أن يكون الله قد ذكر حال نهايته ثم رجع الى حال بدايته فهذه وأمثالها ظنون يظنها براهين من لا يعرف حقيقة البرهان وشرطه فهذا جنس تأويلهم وقد تأولوا في العصا والنعلين في قوله تعالى لموسي (إخلع نعليك) وقوله تعالى (وألق ما في يمينك) ولعل الظن في مثل هذه الامور التي لا تتعلق بأصول الاعتقاد تجرى مجرى البرهان في أصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب يؤدي الى تشويش قلوب العوام فيبدع فيه صاحبه في كل ما لم يؤثر عن السلف ذكره ويقرب منه قول بعض الباطنية ان عجل السامري مؤول اذ كيف يخلو خلق كثير عن عاقل يعلم ان المتخذ من الذهب لا يكون إلها وهذا أيضا ظن إذ لا يستحيل أن تنتهي طائفة من الناس اليه كعبدة الاوثان وكونه نادرا لا يورث يقينا * قال فأما ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية

في الآخرة بظنون وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا إذ لا برهان على استحالة ردّ الارواح الى الاجساد وردّ ذلك عظيم الضرر فى الدين ويجب تكفير من قال منهم ان الله عزّ وجل لا يعلم الا نفسه أو لا يعلم الا الكليات فأما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم وليس من قبيل الدرجات التي ذكرناها في التأويل إذ أدلة القرآن والاخبار على نفيهم حشر الاجساد ونفيهم علم الله تعالى بكل مايجرى على الانسان مجاوزة حدّا لا يقبل التأويل وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق فى أن يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في أن يعتقدوا ان الله عالم بما يجرى عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رهبة ورغبة في قلوبهم جاز للرسول صلى الله عليه وسلم أن يفهمهم ذلك قالوا وليس بكاذب من أصلح غيره فقال مافيه صلاحه وان لم يكن كما قاله * وهذا القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذرا فى أنه لم يكن كذبا ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب وهذه أول درجات الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة تقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان المعتزلي لا يجوز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا العذر بل يؤول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه والفلسفي لا تقتصر مجاوزته للظواهر على مايقبل التأويل على قرب أو بعد وأما الزندقة المطلقة فهو أن ينكر أصل المعاد عقليا وحسيا وينكر الصانع للعالم أصلا ورأسا * وأما اثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل الامور فهى زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء فظاهر ظني والعلم عند الله تعالى أن هؤلاء المرادون بقوله صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهى فرقة هذا لفظ الحديث فى بعض الروايات ولفظ الحديث يدل على أنه اراد الزنادقة من أمته اذ قال ستفترق أمتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون أن الموت عدم محض وان العالم لم يزل كذلك موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذاً لا معنى

لزندقة هذه الامة الاماذكرناه (قلت) اما الحديث فلا أصل له بل موضوع كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث ولم يروه أحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن والمساند عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار وروي عنه أنه قال هي الجماعة وفي حديث آخر هي من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي وأيضا فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الاسلام وعرّب وقد تكلم به السلف والائمة في توبة الزنديق ونحو ذلك فاما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر وان كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن وسواء كان في باطنه يهوديا أونصرانيا أو مشركا أو وثنيا وسواء كان معطلا للصانع والنبوة أوللنبوية فقط أو لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا باجماع المسلمين ولهذا كان هؤلاء مع تظاهرهم بالاسلام قد يكونون أسوأ حالا من الكافر المظهر كفره من اليهود والنصارى مثلا كما قال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين * وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما) ومثل هؤلاء المنافقين كفار في الباطن باتفاق المسلمين وان كانوا مظهرين للشهادتين والاقرار بما جاء به الرسول ومؤدين للواجبات الظاهرة فان ذلك لا ينفعهم في الآخرة اذ لم يكونوا مؤمنين بقلوبهم باتفاق أئمة المسلمين * وبهذا يظهر ضعف ماذكره من أنه لا معنى لزندقة هذه الامة الاماذكره من الزندقة المقيدة التي هي مذهب الفلاسفة المشائين فان الزندقة في هذه الامة وغيرها باتفاق أئمة المسلمين أعم من هذا كما يذكره الفقهاء كلهم في باب توبة الزنديق وسائر أحكامه وان لم يكن لفظ الزنديق واردا في الكتاب والسنة بل معناه عندهم المنافق وقد قال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقال تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم بشرا كم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا

نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير) وقال تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا * الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وفي القرآن من ذكر المنافقين في عامة السور المدنية كالبقرة والنساء والتوبة وغيرها مالا يمكن استقصاؤه هنا بل جميع من بلغته دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم ثلاثة أصناف مؤمن وكافر ومنافق هو كافر في الباطن مسلم في الظاهر وقد أنزل الله وصف الاصناف الثلاثة في أول سورة البقرة فانزل أربع آيات في المؤمنين وآيتين في الكافرين وبضع عشرة آية في المنافقين فقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون الا أنفسهم ومايشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون الى قوله تعالى انا معكم انما نحن مستهزؤن) وبالجملة فقد ذكر الله من أمور المنافقين في السور المدنية كما أومأنا اليه كسورة البقرة والنساء والتوبة والاحزاب والفتح وغيرها مايطول ذكره وعامة مايوجد النفاق في أهل البدع فان الذى ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا وكذلك يقال عن الذي ابتدع التجهم وكذلك رؤس القرامطة والخرمية وأمثالهم ولا ريب أنهم من أعظم المنافقين وهؤلاء لا يتنازع المسلمون في كفرهم وأما تكفير من لم يكن منافقا فهذا فيه تفصيل قد بسطناه في غير هذا الموضع وبينا الفرق بين من قامت عليه الحجة النبوية التي يكفر تاركها وبين المخطئ المجتهد في اتباع الرسول اذا اقتضى خطؤه نفي بعض ما أثبته أو اثبات بعض مانفاه حتى نفس المقالة الواحدة يكفر بتكذيبها من قامت عليه

الحجة دون من لم تقم كالذى قال اذا مت فاسحقوني ثم اذروني في اليم فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابا ماعذبه أحدا من العالمين فان الايمان بقدرة الله على كل شيء ومعاد الابدان من أصول الايمان ومع هذا فهذا لما كان مؤمنا بالله وأمره ونهيه وكان ايمانه بالقدرة والمعاد مجملا فظن ان تحريقه يمنع ذلك فعل ذلك ومعلوم انه لوكان قد بلغه من العلم ان الله يعيده وان حرق كما بلغه انه يعيد الابدان لم يفعل ذلك وقد بسطنا الكلام فى مقالات الناس في التكفير وبيان الصواب في غير هذا الموضع والمقصود ان أبا حامد ذكر هنا ان هذه التأويلات التى أشار اليها فى مشكاة الانوار لم يقم دليل قاطع يقتضيها وتكلم فى تبديع أهلها بما تقدم وذكر ان مايتعلق باصول العقائد فيجب تكفير من يغير الظاهر فيه بغير برهان قاطع وقطع بتكفير الفلاسفة كما تقدم كما قطع بتكفيرهم فى تهافت الفلاسفة وقال بعد ذلك فى قانون التكفير هو أن تعلم ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول العقائد وقسم يتعلق بالفروع واصول الايمان ثلاثة الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع قال واعلم أنه لاتكفير في الفروع أصلا لكن فى بعضها تخطئة كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة الى أن قال ومهما وجد التكذيب وجد التكفير ولو كان فى الفروع فلو قال قائل مثلا البيت الذي بمكة ليس هى الكعبة التى أمر الله بحجها فهذا كفر اذ قد ثبت تواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه ولو أنكر شهادة الرسول لذلك البيت بانه الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعا انه معاند فى انكاره الا أن يكون قريب عهد من الاسلام ولم يتواتر عنده ذلك وكذلك من نسب عائشة رضي الله عنها وعن أبيها الى الفاحشة وقد نزل القرآن ببرائتها فهو كافر لان هذا وأمثاله لايمكن انكاره الا بتكذيب أو انكار التواتر والمتواتر ينكره الانسان بلسانه ولا يمكنه أن يجهله بقلبه نعم لو أنكر ماثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه الكفر ولو أنكر ماثبت بالاجماع فهذا عندي فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة مختلف فيه فهذا حكم الفروع وأما الأصول الثلاثة فكل مالم يحتمل التأويل فى نفسه وتواتر نقله ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض ومثاله ماذكرناه في حشر الاجساد واحاطة علم الله بتفاصيل الأمور وما يتطرق اليه احتمال تأويل ولو بالمجاز البعيد فينظر فيه الى البرهان فان كان قطعيا وجب القول به لكن إن كان فى إظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فاظهاره بدعة وان لم يكن البرهان قطعيا لكن

يفيد ظنا غالبا وكان مع ذلك لا يعم ضرره في الدين كنفي المعتزلة الرؤية عن الباري تعالى فهذه بدعة وليست بكفر واما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل أن يكفر وان لا يكفر ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي التصوف انه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى اسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان فهذا ممن لا أشك في وجوب قتله وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر اذ ضرره في الدين أعظم وينفتح به باب من الاباحة لا يسد فضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمتنع من الاصغاء اليه لظهور كفره وأما هذا فيهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم الكتاب اذ خصوص عموم آيات التكليفات لمن ليس له مثل درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس الدنيا ويقارف المعاصي بظاهره وهو بباطنه برئ عنها ويتداعى هذا الى أن يدعي كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الشرع ولا ينبغي أن يظن ان التكفير نفسه ينبغي أن يدرك قطعا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار فمأخذه كمأخذ سائر الاحكام الشرعية وتارة يدرك بيقين وتارة يدرك بظن غالب وتارة يتردد فيه ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى والمبادرة الى التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل * ولا بد من التنبيه لقاعدة أخرى وهو ان المخالف نصا متواترا ويزعم انه مؤول ولكن لا انقداح له أصلا عن اللسان لا على قرب ولا على بعد فذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه مؤول مثاله ما رأيته في كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطي الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى انه يعطي العلم ويخلقه لغيره وموجود بمعنى أنه يوجد غيره فأما أن يكون في نفسه واحدا و موجودا وعالما بمعنى اتصافه بها فلا وهذا كفر صراح لأن حمل الوحدة على إيجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء ولا تحتمله لغة العرب ولو كان خالق الوحدة واحدا لخلقه الوحدة لسمي ثلاثا وأربعا لانه خلق الأعداد أيضا فأمثلة هذه المقالات تكذيبات ان عبر عنها بالتأويلات * ثم قال (فصل) قد تكلمت في هذه التقسيمات ان النظر في التكفير يتعلق بأمور أحدها ان النص الشرعي اذا عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل أم لا واذا احتمل التأويل فهو قريب أو بعيد * الثاني في النص المتروك أنه ثبت تواترا أو آحادا أو ثبت بالاجماع المجرد * الثالث في ان صاحب المقالة هل تواتر عنده الخبر أو بلغه الاجماع اذ كل من يولد

لاتكون الأمور عنده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف* الرابع النظر فى دليله الباعث له على مخالفة الظاهر أهو على شرط البرهان أم لا * الخامس ان يذكره تلك المقالة هل يعظم ضرره فى الدين أم لا ﴿ قلت ﴾ ليس المقصود هنا تعقب كلامه في التكفير فان هذه مسألة كبيرة وفيها اضطراب عظيم لايحتمله هذا الموضع وانما المقصود الكلام على تصويب التأويل وتخطئته والقطع بذلك فانه قد ذكر ان من النصوص مالا يحتمل التأويل وجعل أمثال ذلك التأويلات تكذيبات ومن تدبر هذا وجد جمهور ماتذكره الفلاسفة بل والمعتزلة في التأويل هو من هذا الباب ولا ريب ان المعتزلة أقرب الى الاسلام من الفلاسفة * ومن أشهر مسائلهم التي استحثوا الناس عليها قولهم ان القرآن مخلوق وقالوا معنى ان الله متكلم وأنه تكلم أنه خلق في غيره كلاما وقد قال هنا لان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة ليس من التاويل فى شيء ولا تحتمله لغة العرب أصلا ولو كان خالق الوحدة واحداً لخلقه الوحدة لسمي ثلاثا وأربعا لانه خالق الاعداد أيضا ومثل هذا يقال في الكلام والارادة والرضى والغضب واشباه ذلك مما تقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم أنه خلقه فى غيره فسمى واتصف به فان حمل المتكلم على الذي أوجد الكلام فى غيره بمنزلة حمل العالم والقادر والسميع والبصير على الذي أوجد العلم والقدرة والسمع والبصر فى غيره ولو كان متكلما بما يخلقه فى غيره لكان ماتنطق به الايدى والجلود التي قالت أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء متكلما به وكان ذلك كلام الله ولم يكن فرق بين ان يقول هو وبين ان ينطق غيره ثم إنه اذا قام الدليل على انه خالق أفعال العباد لزم ان يكون هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام كما قال بعض الاتحادية

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

وحينئذ لافرق بين قول فرعون أنا ربكم الاعلى وما علمت لكم من إله غيري وبين القول الذى سمعه موسى انني انا الله لااله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري وهكذا تصرح به هؤلاء الجهمية الاتحادية كما وجدته فى كتبهم وكما شافهني بذلك حذاقهم ومحققوهم وشيوخهم ويقولون إنه هو المتكلم على لسان كل قائل لايكتفون بان يكون هو الذى أنطق كل شيء كما يقول المسلمون بل يقولون انه الناطق في كل شيء فلا يتكلم الا هو ولا يسمع الا هو حتي قول مسيلمة الكذاب والدجال وفرعون يصرحون بان أقوالهم هي قوله وخاطبت فى ذلك بعضهم فذكرت له الدجال

فقال يكون الدجال مستثنى من ذلك بالشرع فقلت له هـذا لا يمكن على أصلكم في الوحـدة فتحير وبقي في حيرة * ومن أصولهم الجمع بين النقيضين والضدين وقول هؤلاء هو في الحقيقة قول الجهمية الذين كفرهم السلف والأئمة لـكن أولئك ظهر عنهم انهم قالوا ان الله بذاته في كل مكان وكل من القائلين للقولين قد يقول مقالة الآخر كما بينته في غير هذا الموضع فان هؤلاء يقولون بالمظاهر وانه ظهر في الاشياء فقلت لبعضهم فالمظاهر وجود أو عدم قال وجود قلت فهي غيره أم لا فان قلتم غيره فقـد قلتم بموجودين وان قلتم لا بطل ما قررتموه ولهذا لما فهم السلف حقيقة قول هؤلاء كفروهم كما قال عبـد الله بن المبارك فيما ذكره البخاري في كتاب خلق الافعال قال وقال ابن مقاتل سمعت ابن المبارك يقول من قال انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني مخلوق فهو كافر ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك قال وقال ابن المبارك لا نقل كما قالت الجهمية انه في الارض ههنا بل على العرش استوى وقيل له كيف نعرف ربنا فقال فوق سمواته على عرشه وقال لرجل منهم أبطنك خال منه فبهت الآخر وقال من قال لا اله الا هو مخلوق فهو كافر وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهميـة قال البخاري وقال علي بن عاصم ما الذين قالوا ان لله ولدا أكفر من الذين قالوا ان الله لا يتكلم قال البخاري وقال أبو الوليد سمعت يحيي بن سعيد وذكر له ان قوما يقولون القرآن مخلوق قال فقال كيف يصنعون (بقل هو الله أحد) كيف يصنعون بقوله (انني أنا الله لا اله الا أنا) قال وقال سليمان بن داود الهاشمي من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال القرآن مخلوقا كما زعموا فلم صار فرعون أولى بان يخلد في النار اذ قال أنا ربكم الاعلى حيث زعموا ان هذا مخلوق ومن قال انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني هذا أيضا قد ادعي ما ادعي فرعون فلم صار فرعون أولى بان يخلد في النار من هذا وكلاهما عنده مخلوق فاخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه (قلت) المقصود التنبيه على ان السلف فهموا حقيقة قول هؤلاء الجهميـة الذي هو حقيقة قول القرامطة ومن وافقهم من الفلاسفة فانهم ينفون الصفات وهم في الحقيقة ينفون الاسماء أيضا لـكن يحتاجون الى اطلاقها في الظاهر لاجل تظاهرهم بالاسلام ويتأولونها على انه خلق معانيها في غيره وهذه هي القاعدة المعروفة وهو ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره ووجب ان يشتق لذلك المحل من لفظها اسم ولا يشتق لغيره الاسم والمعتزلة تنازع أهل الاثبات في بعضها كما تنازعهم القرامطة في بعضها وطـرد ذلك في أسماء الافعـال كالعادل ونحوه فان

المفهوم من مذهب الفقهاء أصحاب الأئمة الاربعة وأهل الحديث والصوفية وطوائف من أهل الكلام طرد ذلك ومن لم يطرده انتقضت حجته ولا فرق فى ذلك بين نوع ونوع في الحقيقة ولكن من المذاهب ماقل قائله وخفي وظهرت مخالفته لما استقر في قلوب المسلمين ومنها ما كثر قائله وبقى نفور القلب عن ذلك القول ومفتتحه أعظم ولو فرض ان شخصا مؤمنا باطنا وظاهرا لكن جهل وضل في صفة القدرة أو العلم حتى ظن ان القدرة تقوم بغيره والعلم بغيره كما هو قول الباطنية لكان حاله كحال من هو مؤمن باطنا وظاهرا وقد جهل وضل حتى اعتقد ان الكلام لايقوم به بل بغيره وكثير من أهل المقالات قد أخرج بعض الموجودات عن قدرته ومنع قدرته علي أشياء كحال الذي قال لولده ما قال فهذه المقالات هى كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف علي قيام الحجة التى يكفر تاركها وان اطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل اطلاق القول بنصوص الوعيد مع ان ثبوت حكم الوعيد فى حق الشخص المعين موقوف علي ثبوت شروطه وانتفاء موانعه ولهذا اطلق الأئمة القول بالتكفير مع أنهم لم يحكموا فى عين كل قائل بذلك إما بالحبس والضرب والاخافة وقطع الرزق بل بالتكفير أيضا لم يكفروا كل واحد منهم *وأشهر الائمة بذلك الامام أحمد وكلامه في تكفير الجهمية مع معاملته مع الذين امتحنوه وحبسوه وضربوه مشهور معروف وانما القصد هنا التنبيه علي ان عامة هذه التاويلات مقطوع ببطلانها وان الذى يتاوله أو يسوغ تاويله فقد يقع في الخطاف نظيره أو فيه بل قد يكفر من يتأوله ونحن قد بسطنا الكلام في هذه الابواب في غير هذا الموضع وانما الغرض من هذا الجواب التنبيه على مخالفة أقوال هؤلاء المتفلسفة لدين الاسلام وان أقوالهم هذه التى أدخلها من أدخلها من المتكلمة والمتصوفة فى دين الاسلام ليست موافقة لاقوال الرسل بل نقطع بمخالفتها وأنا أنبه على نكت فيما ذكره

﴿ الوجه الثالث عشر ﴾ ان ما ذكره في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام من أنه اراد بالكوكب والقمر والشمس ما يذكره المتفلسفة من العقول والنفوس كما فى المشكاة وان الشمس هى العقل لكونه هو المفيض على النفس كالشمس مع القمر وهم مضطربون في هذا التأويل فان العقول عندهم عشرة والنفوس تسعة والشمس والقمر اثنان والكواكب كثيرة فلا ينطبق هذا على هذا ولهذا كلامهم فى المطابقة مضطرب كما تقدم وملخصه أنه

جعل الكواكب هى النفوس المتعددة وجعل القمر كنفس الفلك التاسع وجعل الشمس هي العقل لكن المقصود ان هذا مما يعلم بالاضطرار انه ليس هو المراد بالآية ولم يقله أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد اتفق كل من تكلم في تفسير القرآن من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين على ان المراد بالكوكب والقمر والشمس ماهو معروف من مسميات هذه الاسماء وهذه الاعيان المشهودة المستكثرة ولا كان أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين يثبت العقول والنفوس كما يثبتها هؤلاء المتفلسفة ولا الملائكة المذكورون فى الكتاب والسنة على الصفة التى ينص هؤلاء عليها وما يذكرونه من العقول والنفوس فضلا عن ان تسميها عقولا ونفوساً بل بينهما من الفروق والمخالفات مالا يكاد يحصيه الا الله ولفظ الكوكب والشمس والقمر معرف بلام التعريف والبزوغ والافول لا يحتمل مايذكرونه من العقول والنفوس فى لغة العرب بوجه من الوجوه والذين نقلوا القرآن لفظه ومعناه عن الرسول قد علم بالتواتر والاضطرار عنهم ان المراد بالشمس والقمر الشمس والقمر كما ان ذلك هو المراد بهذين الاسمين في عامة القرآن كقوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) وقوله (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل الى قوله وكل في فلك يسبحون) وقوله (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وما تعلنون * الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وقوله (اذا الشمس كورت) وقوله فى وصف القمر (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل) الآية ولكن هذا من جنس تأويل القرامطة كالسهروردى الحلبي وأمثاله ان المراد بالشمس هنا عقل الانسان والنجوم حواسه وبالجبال أعضاؤه ونحو ذلك مما يتؤل فيه نصوص القيامة على موت الانسان وهو كتأويل بعض كبار الاتحادية الذين يفسرون طلوع الشمس من مغربها بطلوع كلامهم وبطلوع النفس من البدن ونزول عيسى بن مريم من السماء بنزول روحانيته أو جزئيتها على هذا الشخص وكان اسم أمه مريم وامثال ذلك ومعلوم أن حمل كلام الله ورسوله على معنى من المعانى لابد فيه من شيئين أحدهما أن يكون ذلك المعنى حقا فى دين الاسلام يصح اخبار

الرسول عنه والثاني أن يكون قد دل عليه بالنص لفظ يدل عليه دلالة لفظ على معناه وكل من المقدمتين هنا معلوم انتفاؤه قطعا بالاضطرار فان من فهم مايقوله هؤلاء من العقول والنفوس وإن سموها ملائكة وفهم ماجاءت به الرسل من الاخبار بملائكة الله واعتبر أحد القولين بالآخر علم بالاضطرار أن قول هؤلاء من أعظم الأقوال منافاة لاقوال الرسل وان ذلك من أعظم الكفر في دين الرسل وان حقيقته حقيقة قول من يقول ولدا لله وانهم لكاذبون ومن خرق له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وحقيقة قوله الذي أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حيث قال يقول الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه اياي فقوله انى اتخذت ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من اعادته وهذا الحديث منطبق على هؤلاء المتفلسفه فان قولهم في المبدأ بالتوليد عنه وفي المعاد بعود النفوس الى عالمها من دون اعادة الخلق يتضمن من شتم الله وتكذيبه ماأخبر به رسوله وهذا باب واسع لكن المقدمة الثانية أغرب وهي كون لفظ الكواكب والقمر والشمس في القرآن أريد بالكواكب النفوس الكلية وبالقمر نفس الكل وبالشمس العقل فان هذا مما يعلم بالاضرار ان لفظ القرآن لايحتمله لاحقيقة ولا مجازا كما لايحتمل ان يراد بلفظ الشمس والقمر والكواكب آدم وحواء وأولادهما ولاهم أبوا ابراهيم واخوته كما كان مثل ذلك التأويل في رؤيا يوسف وكما لايحتمل انه أراد بالشمس القمر والكواكب سلطان وقته ووزيره وأعوانه وشبه ذلك مما قد يعبر به العابر في من رأى الشمس والقمر والكوكب ثم الرائي كيوسف الصديق انما مثل له في منامه سجود الشمس والقمر والكواكب لكن لم تكن هى الساجدة في الخارج بل قيل له ذلك في نفسه وهؤلاء يزعمون ان ابراهيم لم يرد الشمس والقمر والكوكب لافي نفسه ولا في الخارج فكيف اذا حمل على ماهو أبعد وهذا الجواب لايحتمل البسط

﴿الوجه الثالث﴾ أن يقال قصة ابراهيم الخليل التى قصها الله تعالى فى كتابه مع انها من أعظم سبل الاعتبار لتحقيق التوحيد فقد ضل بها فريقان من الناس وأضل ضلالهم انهم اعتقدوا ان ابراهيم لما قال هذا ربى فى الثلاثة مخبراً أومستفهما أومقدراً أراد أن هذا هو الذى خلق

السموات والارض وانه رب العالمين ثم انهم لما ظنوا انه أراد هذا سلك هؤلاء سبيلا وهؤلاء سبيلا ولو تدبروا القصة لعلموا انها تدل على نقيض قولهم فالفريق الاول طوائف من أئمة أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم من غيرهم حتى مثل ابن عقيل وأبي حامد وغيرهم قالوا ان هذا الذي سلكه ابراهيم هو الدليل الذى سلكه هؤلاء فى حدوث الاجسام حيث استدلوا على ذلك بما قام بها من الاعراض الحادثة كالحركة وأثبتوا حدوث الاعراض أو بعضها ولزومها للجسم أو بعضها ثم قالوا ومالا ينفك عن الحوادث فهو حادث ثم منهم من أخذ ذلك مسلما ومنهم من تفطن للسؤال الوارد هنا وهو الفرق بين مالا ينفك عن عين المحدث أو نوعه فان المحدث المعين اذا قدر أنه لازم لغيره فلاريب انه حادث هذا معلوم بالضروة والاتفاق وأما مايستلزم نوع المحدث فانما يعلم حدوثه اذا قدر امتناع حوادث لاأول لها فخاضوا فى تقرير هذه المقدمة بما ذكروه والمقصود هنا ان من هؤلاء من جعل هذا هو دليل ابراهيم الخليل على اثبات الصانع وهو انه استدل بالأفول الذي هو الحركة والانتقال على حدوث ماقام به ذلك ولو تدبروا لعلموا ان قصة ابراهيم هى على نقيض مطلوبهم من الافول * أما أولا فان ابراهيم انما قال لاأحب الآفلين والافول هو المغيب والاختفاء بالعلم القائم المتواتر الضرورى في النفس واللغة ولم ينقل أحد ان الافول مجرد الحركة وأما ثانيا فانه قد قال (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأي الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى بريء مما تشركون) ومعلوم انه من حين البزوغ ظهرت فيه الحركة فلو كانت هى الدليل على الحدوث لم يستمر على ما كان عليه الي حين المغيب بل هذا يدل على ان الحركة لم يستدل بها أو لم تكن تدل عنده على نفس مطلوبه * واما ثالثا فانما قال لاأحب الآفلين فنفى محبته فقط ولم يتعرض لما ذكروه وأما رابعا فمن المعلوم ان أحدا من العقلاء لن يظن ان كوكبا من الكواكب دون غيره من الكواكب هو رب كل شيء حتى يكون رب سائر الكواكب والافلاك والشمس والقمر وقد بسطنا الكلام فى ذلك في غير هذا الموضع والفريق الثاني من فسر ذلك من متفلسفة الصوفية المتصوفة أنه هو النفوس والعقول كما ذكره أبو حامد ومعلوم ان هـذا أفسد من الاول بكثير مع انه في المشكاة رجح حال من يعتقد إلهية هذه فيما رأى على طوائف المسلمين الصفاتيـة المقرين برب العالمين فانه لما ذكر الحجبة ثم أخذ في تفسير الحديث المكذوب ان لله سبعين حجابا من نور

وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ماأدركه بصره وفي بعضها سبعمائة وفي بعضها سبعين الف حجاب فقسم الحجب والمحجوبين ثلاثة أقسام الاول المحجوبون بمحض الظلمة وهم المعطلة للصانع الثانى المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهي ثلاثة أنواع حسية وخيالية وعقلية فالحسية كطوائف من المشركين والمجوس والخيالية كطوائف من المسلمين من المجسمة والكرامية والعقلية قال هم المحجوبون بالانوار الالهية يعرفون مقامات عقلية فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادراً مريدا حيا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح أحدهم فقال كلامه صوت ككلامنا وربما ترقي بعضهم فقال لا بل هو كحديث أنفسنا ولاصوت ولا حرف ولذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان انكروها باللفظ لم يدركوا أصلا معانى هذه الاطلاقات في حق الله وكذلك قالوا فى ارادته انها حادثة مثل ارادتنا وانها طلب وقصد مثل قصدنا وقال وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها فهؤلاء محجوبون بجملة الانوار مع ظلمة المقامات العقلية فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثانى المحجوبون بنور مقرون بظلمة القسم الثالث المحجوبون بمحض الانوار وهم أصناف لا يمكن احصاؤهم باشتراك ثلاثة أصناف منهم فالاول طائفة عرفوا المعانى والصفات تحقيقا وادركوا اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقها على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى صلى الله عليه وسلم في جواب قول فرعون ومارب العالمين فقالوا ان الرب المقدس المنزه عن المفهوم الظاهر من معانى هذه الصفات هو محرك السموات ومدبرها • والصنف الثانى ترقوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم ان السموات كثيرة وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى فلكا وفيهم كثرة • وأما نسبتهم الى الأنوار الالهية فنسبة الكواكب الى الأنوار المحسوسة. ثم لاح لهم أن هذه السموات فى ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة .وقالوا الرب هو المحرك للجرم الأقصي المنطوى على الأفلاك كلها إذ الكثرة منتفية عنه * والصنف الثالث ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي أن يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى ملكا نسبته الى الأنوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الأنوار المحسوسة فزعموا أن الرب هو

المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركا للكل بطريق الأمر لا بطريق المباشرة ثم في فهم ذلك الأمر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الأفهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهؤلاء كلهم أصناف محجوبون بالانوار المحضة وإنما الموحدون الواصلون الى حضرة الحق صنف رابع تجلى لهم أيضا أن هذا المطاع موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال كثير لا يحتمل هذا الكتاب كشفه وأن نسبة هذا المطاع نسبة الشمس الى الانوار المحسوسة فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي أمر بتحريكها الى الذى فطر السموات والارض وفطر الأمر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزّه عن كل ماأدركه بصر من قبلهم فأحرقت سبحات وجهه الا زلى الأعلى جميع ماأدركه بصر الناظرين وبصيرتهم إذ وجدوه مقدساً منزها عن جميع ماوصفوه من قبل. ثم هؤلاء انقسموا فنهم من احترق منه جميع ماأدركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظا للجمال المقدس وملاحظا ذاته من جماله الذى ناله بالوصول الى الحضرة الالهية فانمحقت منه المبصرات دون البصر. وجاوز هؤلاء طائفة هم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه من أنفسهم وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا فى ذواتهم ولم يبق لهم لحاظ الي أنفسهم لغيابهم عن أنفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله (كل شئ هالك الا وجهه) لهم ذوقا وحالا وقد أشرنا الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا أنه كيف أطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين * ومنهم من لم يتدرج في الترقي على التفصيل الذى ذكرناه ولم يطل عليهم الطريق فسبقوا من أول مرة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه فغلب عليهم أولا ما غلب على آخر الآخرين اذ هجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصر حسي وبصيرة عقلية ومن غير تدريج. ويشبه أن يكون الأول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله عليهما والله أعلم بأسرارهما وأنوار غاياتهما فهذه اشارة الى أصناف المحجوبين بالنور والظلمة ولا يبعد أن تبلغ اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفا ولكن اذا فتشت لا تجد واحداً منهم خارجا عن الاقسام التى حصرناها فانهم إما محجوبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو بالخيال أو نفسانية العقل أو بالنور المحض كما سبق وهذا آخر الكتاب * فهذا الكلام مع ما فيه من تصويب نفاة الصفات من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم وتخطئة الصفاتية الذين هم سلف الامة وأئمتها وأهل الحديث

والتصوف والفقه وحذاق أهل الكلام من الكلابية والأشعرية والكرامية والهاشمية وغيرهم ويتضمن أيضا تفضيل الذين يعتقدون في إحدى النفوس والعقول أنه رب العالمين وغايتهم أن يجعلوا ذلك هي الملائكة ويتضمن تفضيل من يعتقد في ملك من الملائكة أنه رب العالمين على من يقر برب العالمين من الصفاتية المسلمين واليهود والنصارى واذا كان معلوما بالاضطرار من دين الرسل كلهم أن الفلاسفة الصابئة الذين يعبدون الملائكة مع قولهم إنهم مخلوقون هم أسوأ حالا من أهل الكتاب اليهود والنصارى مع ما وصف الله هؤلاء من المقالات الغالية من التجسيم والتعطيل وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز عن اليهود أنهم قالوا (يد الله مغلولة) وأنهم قالوا (ان الله فقير ونحن أغنياء) وذكر أنه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب لما قال من قال من اليهود انه استراح يوم السبت فنزه نفسه عن أن يمسه لغوب وذكر قول النصاري ان المسيح هو الله وانه ابن الله وان الله ثالث ثلاثة ومع هذا فالمشركون الذين يعبدون الملائكة أو غيرها أسوأ حالا من هؤلاء باتفاق المسلمين مع اقرارهم برب العالمين فكيف بتفضيل من يقول ان ملكا هو رب العالمين على طوائف المسلمين واليهود والنصاري الذين يثبتون الصفات ولو فرض أن بعضهم أخطأ في بعض ذلك هذا شبه ماذكره الله بقوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) ومنشأ هذا الضلال الذي وقع في قصة ابراهيم ماتقدم ذكره من ظنهم أنه قال ان الكوكب أو القمر أو الشمس رب العالمين وليس الأمر كذلك بل ابراهيم عليه السلام خاطب قومه المشركين الذين كانوا مع اقرارهم برب العالمين يعبد أحدهم مايستحسنه ويهواه ويراه نافعاله فهذا يعبد المشتري وهذا يعبد الزهرة وهذا يعبد غيرهما كما كانت الكواكب تعبد . وكان أعظم مايعبد من ذلك الشمس والقمر لظهور تأثيرهما في العالم وكانوا ينسبون هياكل العبادات لهذه المعبودات فيقولون هيكل الشمس هيكل القمر هيكل زحل هيكل المشترى هيكل المريخ هيكل الزهرة هيكل عطارد * وقد ذكر المصنفون لأخبارهم أن أحد مسجدى دمشق وحران كان هيكل المشتري والآخر هيكل الزهرة وكان ابراهيم عليه السلام قد ولد بحران كما هو معروف عند أهل الكتاب وجمهور المسلمين وكان أبوه في ملك النمروذ وكان قد استولى على العراق وكانوا صابئة فلاسفة يعبدون الكواكب

وقد صنف من صنف في مخاطبة الكواكب والسحر على مذهبهم مثل كتاب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم ونحو ذلك مما يذكر فيه مذهب الكلدانيين والكشدانيين وكانوا مع بنائهم هياكل النجوم يبنون هيكل العلة الاول وهيكل العقل وهيكل النفس ويفرقون بين هذا وهذا وبقوا بحران وواسط أكثر من ثلاثمائة سنة في مدة الاسلام. وتنازع الفقهاء في قبول الجزية منهم. ومنهم من جعل للشافعي واحمد قولين. واستقراء القول فيهم على التفصيل بان من دان منهم بدين أهل الكتاب ألحق بهم والا فلا فدخلوا في النصرانية وشرح حالهم يطول والمقصود أن مخاطبة الخليل عليه السلام تضمنت الرد على الفلاسفة الصابئين المشركين وأمثالهم فان أحدهم كانت عبادته تابعة لما يحبه ويهواه فانهم انما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس. وأحدهم يظن أن عبادة هذا الكوكب ومخاطبته تنفعه بجلب منفعة ودفع مضرة فيتخذه الها مع إقراره بانه مربوب ليس هو رب العالمين. وهؤلاء أحد أنواع المشركين وكانوا تارة يتخذون لهذه الكواكب أجساما على مايظنونه موافقا لطبائعها كما يلبسون لها من اللباس ويتختمون لها بالخواتيم ويتحرون لها من الايام مايظنونه موافقا لطبائعها وقد سمى ذلك علم الاستخدام والروحانيات وقد يتمثل لأحدهم شيطان يخاطبه فيقول هذه روحانية الكوكب أو خادمه كما كانت لأصنام العرب شياطين تخاطبهم وكذلك في بلاد الترك والهند من الشياطين التى تخاطب المشركين ماهو معروف ولهذا قال الخليل في آخر أمره (إني بريء مما تشركون *إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) فتبرأ مما كانوا يشركونه بالله وذكر أنه وجه قصده وعبادته للذى فطر السموات والارض وهذه الحنيفية ملة ابراهيم التى بعث الله بها الرسل وهي عبادة الله وحده لاشريك له وليس في لفظه احداث اقرار بالصانع بل كان الاقرار بالصانع ثابتا عندهم ولهذا قال في الآية الأخرى (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى إلا رب العالمين) وقال أيضا (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون * الا الذى فطرني فانه سيهدين *وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) فبهذا وغيره يتبين أن القوم كانوا مشركين بالله مثل ما كان مشركو العرب قال تعالي (وما يؤمن أكثرهم بالله

الا وهم مشركون) فهم يجعلون معه آلهة أخرى يعبدونها مع اعترافهم أنه وحده رب العالمين كما ذكر الله تعالى ذلك في غير موضع في القرآن في مثل قوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه القرآن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وكانوا يتخذونهم شفعاء وشركاء كما أخبر القرآن بذلك ولهذا قال الخليل لا أحب الآفلين فذكر أنه لا يحب الآفلين لانهم كانوا على عادتهم مثل عادة المشركين يعبد أحدهم ما يحبه ويهواه ويتخذ إلهه هواه وقوله لا احب الآفلين كلام مناسب ظاهر فان الآفل يغيب عن عابده فلا يبقى وقت أفوله من يعبده ويستعينه وينتفع به ومن عبد ما يطلب منه المنفعة ودفع المضرة فلا بد أن يكون ذلك فى جميع الأوقات فاذا أفل ظهر بالحس حينئذ أنه لا يكون سببا فى نفع ولا ضر فضلا عن أن يكون مستقلا ولهذا قال ابراهيم فى مناظرته لهم (وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان * ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربيّ كل شيء علما أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحقّ بالامن ان كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وهذه محاجة قوم كانوا يخوفونه بآلهتهم كما هي عادة المشركين يخوفون من يكفر بطواغيتهم أي مضرة ذلك فقال الخليل وكيف أخاف ما أشركتم فعد لتموه بالله تعبدونه كما يعبد الله ولا تخافون أنكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فان الله لم ينزل كتابا من السماء ولم يرسل رسولا بعبادة شيء سواه كما قال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ولكن نبهنا على المقصود

﴿ الوجه الرابع عشر ﴾ قوله فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة علية

يعبر عنها بالملائكة فيها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولأجلها قد تسمى أربابا ويكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحري أن يكون مثالها في عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب الى آخر الكلام * فيقال لاريب أن تسمية هذه أربابا هو كلام اليونانيين وأمثالهم من المشركين فانهم يصرحون في كتبهم بتسمية هذه المجردات التي يقولون انها الملائكة أربابا وآلهة ويقولون هي الارباب الصغرى والآلهة الصغرى. وهؤلاء المتفلسفة الصابئة يعبدون الملائكة والكواكب* وأما الرسل وأتباعهم الموحدون فقد قال الله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون* ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا* لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون* ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون *لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) وامثال ذلك كثير * ثم معلوم بالاضطرار أن الملائكة ليست أربابا ولا تسمى في الشريعة أربابا. فقول القائل ولأجلها قد تسمى أربابا* يقال له هذه التسمية المذكورة في قوله تعالى (ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) وكما قال يوسف الصديق (ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير

أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله من سلطان) بل لارب الا الله ربنا ورب آبائنا الاولين واذا قيل فى البشر رب كذا فانما يضاف الى غير المكلف كما يقال رب الدار ورب الثوب وكما قال صلى الله عليه وسلم للأحوص الجشمي (أرب ابل أنت أم رب غنم) وكما قال (اذا اختلف البيعان فالقول ماقال رب السلعة) (١) وهذا مما يبين ضلال بعض من يتأول كلام شيوخ الاتحادية فانه لماقال فى الفصوص فصح قول فرعون أنا ربكم الأعلى وان كان عين الحق زعم بعض أتباعه بقوله انما صح قوله كما يقال رب الثوب ورب الدار ونحو ذلك وأعجب من ذلك قول بعض أكابرهم انه أراد رب كرم. ومعلوم أن هذه الاقوال لولا أنه يقولها بعض المسرفين من الشيوخ ويضلون بها أكابر من الناس لكان المؤمن في غنية عنها وعن حكايتها وردها لظهور فسادها لكل أحد * فيقال لهذا ان صاحب الفصوص عنده قد صرح بمذهبه تصريحا أزال الشبهة في غير موضع فلا حاجة الى هذا التكليف وقد قال لما كان فرعون فى منصب التحكم وانه الخليفة بالسيف وان جاز فى العرف الناموسى لذلك قال أنا ربكم الأعلى أى ان كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له اقض ماأنت قاض فالدولة لك فصح قوله أنا ربكم الأعلى وان كان عين الحق * فقد صرح أنه عين الحق وأن قوله أنا ربكم الأعلى صح مع كون الجميع أربابا بنسبة ما فالعبد عنده هو الرب * ثم يقال له فرعون قد قال ماعلمت لكم من إله غيري وقال لموسي ومارب العالمين فانكر الصانع وذكر الله ذلك عنه فلا حاجة الى تأويل كلامه * ويقال له الله سبحانه ذكر هذا الكلام عنه منكرا له غاية الانكار مبينا لعقوبته فقال (وهل أتاك حديث موسي اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى * اذهب الى فرعون انه طغي * فقل هل لك الى أن تزكى * وأهديك الى ربك فتخشى * فأراه الآية الكبرى * فكذب وعصى * ثم أدبر يسعي * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والأولى * ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) فقد صح من الله انه أخذه نكالا على ذلك وجعله في ذلك عبرة وجعل المناداة بهذه الكلمة عينها عين الكفر حيث قال (فكذب وعصى * ثم أدبر يسعي * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى) وقد قالوا ان قوله الآخرة والاولى أي كلمته الاولى

---

(١) هنا بياض كثير بالاصل

وهي قوله ماعلمت لكم من اله غيري وكلمته الاخري وهي قوله فقال أنا ربكم الأعلى فان هذه أعظم من تلك ثم يقال أوجب ذلك أنه لايجوز لأحد أن يقول للانس والجن أنا ربكم غير الله تعالى ولا يجوز لاحد أن يجعل غير الله ربا كما لايجوز أن يوصف بالربوبية مطلقا الا الله وحده لاشريك له

﴿ الوجه الخامس عشر ﴾ ماذكر في تفسير قصة موسى والوادي المقدس وتفسير ذلك فنقول * هؤلاء المتفلسفة في العقول والنفوس قد أشملوا هذا من الأصول المخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى مالايسع هذا الموضع لذكره مع ان دلالة هذه الالفاظ على تلك المعاني أفسد مما رده من التأويلات ونحن نعلم بالاضطرار من ملة المسلمين واليهود والنصارى ان الطور الذى كلم الله عليه موسى هوجبل من الجبال والطور الجبل وعلم بالاضطرار من دين أهل الملل والنقل بالتواتر ان الله لما كلم موسى كلمه من الشجرة وانه كان يخرج منها نارمحسوسة وان موسى عليه السلام لما ضرب امرأته المخاض قال لعلي آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى طلب أن يجئ بجذوة نار أو يجد من يخبره وانه سبحانه وتعالى كلمه وهو بالواد المقدس طوى وعلم ان هذا التكليم الذى كلمه موسى لم يكلم غيره من الانبياء والرسل الا مايذكر من مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وعلى ماذكروه فلا فرق بين موسى وغيره من الانبياء وغير الانبياء قال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسي تكليما * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وقال تعالى (ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه) الآية وقال تعالى في سياق ذكر الانبياء (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً * وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وقد ذكر مناداته له ومناجاته اياه في مواضع من القرآن ولم يذكر أنه فعل ذلك بغيره من الانبياء وهذا مما أجمع عليه المسلمون وأهل الكتاب ان تكليم الله تعالى لموسى من خصائصه التى فضله بها على غيره من الانبياء والرسل وفى الصحيح من الاحاديث مثل حديث الشفاعة

ومحاجة آدم موسى وذكر فضيلته بتكليم الله تعالى اياه وكذلك فى حديث المعراج من رواية شريك عن أنس وهو فى الصحيحين وهـذا يطول ثم السلف والائمة ضللوا بل كفروا من قال ان لله خالق كلاما فى الشجرة أو الهواء فسمعه موسى كما يقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم ﴿ ومعلوم ﴾ أن هذا أقرب الى أقوال الرسل من قول هؤلاء المتفلسفة الذين يزعمون أن ذلك فيض فاض من العقل على نفس النبي كما يفيض على سائر الانبياء بل وغيرهم فان هذا ليس من مقالات أهل الملل لا سنيهم ولا بدعيهم لـكن من مقالات الصابئة المتفلسفة الذين ليس عندهم فى الحقيقـة كلام ولا ملائكة تـنزل بكلامـه بل ليس عنـدهم تمييز بين موسى وهرون ولا بينهما وبـين فرعون فكيف يتصور على أصلهم أن يختص موسى برسالاته وكلامه غايتـه أن القلوب عنـدهم مثل آنية توضـع تحت السماء فيقع فيها المطر أو نبات تنبسط عليه الشمس فتجففه فيكون ذلك بحسب القابل ولهذا يمكن عندهم أن يكلم كل واحد كما كلم موسى وعندهم قد يسمع أحدهم ما سمعه موسى وقد ذكر ذلك صاحب المشكاة فى غـير هذا الموضع وهذا القول لاريب أنه يعلم بالاضطرار من دين الاسلام انه باطل وقد بينا فى غير هذا الموضع الشبهة الباطلة التى قالها من قالهـا من المتـكلمين في سماع كلام الله ورؤيته حيث قالوا ان ذلك ليس الا مجرد ادراك يحصل فى نفس العبد من غير أسباب منفصلة عنه وهذا ممـا أوقع الطائفة الاتحادية وغيرهم من المبتدعة في دعوى رؤيته فى الدنيا وهو أيضا ممـا يجريهم على دعوى مقام التكليم نعوذ بالله من الضلالة ونسأله الهدى والثبات عليه وتجدهم قد فتحوا هذه الجراءة على الله فلا يزال أحد هؤلاء يدعى ما خص به المكلم في شريف مقامه الجليل ولا يميزون لضلالهم ونفاقهم ما يوحيه الله تعالى الى أنبيائه من الالهام والحديث الذى يجب عرضه على الـكتاب والسنة وبين تكليمه لنبيه موسى من وراء حجاب كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسـل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) ففرق بين ما يوحيـه والايحاء الاعلام الخفى السريع وبين تكليمه لموسى من وراء حجاب نداء ونجاء وقد قال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولى) وقال (وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال(قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي فعمر)فهذا وأمثاله ممـا يكون لغير الانبياء فأما تكليم الله تعالى لموسى فانه لم يكن لعامة

الرسل والانبياء فضلا عمن سواهم ولما كان هؤلاء المتفلسفة ومن سلك سبيلهم يجعلون كلام الله كله لموسى وغيره من الانبياء مايفيض على نفوسهم من العقل الفعال زادت الاتحادية درجة أخرى فجعلوا كلامه كل مايظهر من شيء من الموجودات * وهؤلاء يصرح أحدهم بان ما يسمعه من بشر مثله أعظم من تكليم الله لموسى لان ذلك بزعمهم كلام الله من الشجرة وهى جماد وهذا كلام الله من الحيوان والحيوان أعظم من الجماد * وطائفة أخرى منهم يقولون ان الالهام المجرد وهى المعاني التى تتنزل على قلوبهم أعظم من تكليم الله موسي لان هذا بزعمهم خطاب محض بلا واسطة ولا حجاب وموسى خوطب بحجاب الحرف والصوت وأمثال هذا الكلام الذي يتضمن ترفع أحدهم على تكليم الله تعالى لموسى الذى علم بالاضطرار من دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أنه أعظم من خطابه وايحائه لسائر الانبياء والمرسلين ولهذا يقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وينشدون

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسول ودون الولى

ويقولون ان ولاية النبي أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ثم يدعى أحدهم ان ولايته وولاية سائر الانبياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم هى عندهم أعظم من نبوتهم ورسالتهم وانما يستفيدون العلم بالله الذي هو عندهم وحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في أصل ذلك ان قالوا الولى يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول بواسطة ولهذا جعلوا مايفيض في نفوسهم ويجعلونه من باب المخاطبات الالهية والمكاشفات الربانية أعظم من تكليم موسى بن عمران وهى في الحقيقة إيحاآت شيطانية ووساوس نفسانية وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ولو هدوا لعلموا أن أفضل ماعند الولى ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه وأن أفضل الاولياء الصديقون وأفضلهم أبو بكر وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال(قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فعمر) وفى الترمذي لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر وقال ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه ومع هذا فالصديق انما كان يتلقى من مشكاة النبوة فهو أفضل مطلقا لان ما يأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس بمعصوم بل يقع له الصواب والخطأ ولهذا يحتاج أن يزن بالميزان النبوى المعصوم جميع مايقع له أى لغير الآخذ من مشكاة النبوة

فهذا حال محدّث السابقين الاولين وهو عمر بن الخطاب وهو أفضل من غيره والصديق أكمل منه وأتم مقاما فهذا حال خير السابقين الاولين وأفضل الخلق بعد الانبياء والمرسلين فكيف بهؤلاء الذين فيهم من الباطل والضلال مالا يعلمه الاذو الجلال والا كرام * وكذلك جعله أمره بخلع النعلين يتضمن ترك الدنيا والآخرة أمر لايدل عليه لاحقيقة اللفظ ولامجازه ان صح المجاز ولم يذكر عن أحد من المسلمين لامن الصحابة ولاالتابعين ولامن غيرهم ان ذلك مراداً من هذا اللفظ بل قد ذكروا ان سبب الامر بخلعهما كونهما كانامن جلد حمارغير مذكي ثم هذا الخلع صار سنة اليهود عند عباداتهم ونحن قد أمرنا بمخالفتهم فى ذلك فكيف يجعل مضمون هذا الخلع مشروعا لنا ونحن نأباه * وفى السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اليهود لا يصلون في نعالهم نخالفوهم وفي الصحيحين عن أنس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه وفي المسند وسنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك ألقيت نعليك فالقينا نعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتاني فاخبرني أن فيهما قذراً وقال اذا جاء أحدكم الى المسجد فلينظر فان رأى في نعليه قذراً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما * وفيهما أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا وطىء أحدكم بنعليه الاذى فان التراب له طهور وفى رواية اذا وطىء الاذي بخفيه فطهورهما التراب فكثير من الناس يقول فى تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مامضمونه ان موسى أمر بخلع نعليه بالوادي المقدس ونبينا لم يؤمر بشيء ليلة المعراج مع علو درجته على موسي ولو كان ذلك أمر بترك الدنيا والآخرة لكان محمد صلى الله عليه وسلم مأمورا بذلك وكان ذلك شرعا لنا والتعبير عن هذه المعاني بهذه العبارات مع دعوى انه بهذا المنزل حصل له الخطاب وهو الذي يوقع طوائف فى بيداء الضلالات ظنا ان هذا المقام وما يشبهه ينال بالزهد أو غيره فيطلب أحدهم مالا يصلح للانبياء فضلا عن أن يصلح لامثاله حتى يقع فيما هو من جنس حال أعظم المبتدعة بل حال الكفار والمنافقين قال أبو مجلز لاحق ابن حميد فى قوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) قال ان يسئل منازل الانبياء وبمثل هذا ضل ابن قسى صاحب كتاب خلع النعلين

حتى ذكر في كتابه من أنواع الباطل ماذكره وشرحه ابن عربي صاحب الفصوص فتارة يشتمه ويسبه ويقول انه من أجهل الناس وتارة يجعل كلامه في نهاية التحقيق والعرفان * ومن المعلوم انه لابد في كلامه وكلام غيره من أمور صحيحة ومعان حسنة لكن هي متضمنة من الباطل والضلال مايفوق الوصف فان أحد هؤلاء ان امكنه أن يدعي الالهية أو النبوة ولو بعبارة غريبة لاينفر عنه الناس فعل حتى كان في زماننا غير واحد ممن اجتمع بي وأنكرت عليه وجرى لنا في القيام عليهم فصول ممن يدعي الرسالة ظانا انهذا يسلم له اذا لم يسلم له النبوة فيدعون الرسالة فاذا جاء من يخاف منه من العلماء ادعى أحدهم الارسال العام الكوني كارسال الرياح وارسال الشياطين وتارة يدعي ارسال الرسل كقصة صاحب يس أي في فترة صاحب يس وقد وضح للعالم ان الرسالة التي وصف بها الانبياء ممنوعة اذ هي أخص من النبوة وعلم أن النبوة بعد محمد صلي الله عليه وسلم منفية بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله ختم بي النبوة والرسالة وأما الارسال الثاني فلا يكون مع مشافهة الرسول الا في حياته وأما بعد موته فتبليغ القرآن والايمان والسنة أمر مشترك * وتارة يدعي أحدهم انه خاتم الاولياء ظانا ان خاتم الاولياء أفضلهم قياسا على خاتم الانبياء ثم يدعون لخاتم الاولياء ما هو أعظم من النبوة والرسالة وخاتم الاولياء كلمة لا حقيقة لفضلها ومرتبتها وانما تكلم أبو عبد الله الترمذي بشيء من ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ولم يستند فيه الى شيء ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن يتقي ويكون بذلك خاتم الاولياء وليس ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول وهو أبو بكر ثم عمر اذ الاولياء يستفيدون من الانبياء فاقربهم الى الرسول أفضل بخلاف خاتم الرسل فان الله أكرمه بالرسالة ولم يحلها على غيره فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر في وجوب كونه أفضل من أبعد القياس * وتارة يدعي أحدهم المهدية أو القطبية ويقول أنا القطب الغوث الفرد الجامع ويدخل في هذه الاسماء ماهو من خصائص الربوبية مثل كونه يعطي الولاية من يشاء ويصرفها عن من يشاء والله يقول لسيد ولد آدم انك لا تهدي من أحببت وقال ليس لك من الامر شيء وقد بسطنا الكلام في هذه الامور لحاجة الناس الى ذلك في غير هذا الموضع

﴿ فصل ﴾ وهذا كله اذا ميز وجود القلم وغيره من المخلوقات عن وجود الرب تعالى كما عليه أهل الملل وجمهور العقلاء من غيرهم وأما على قول هؤلاء المدعين التحقيق الذين

يدعون ان الوجود واحد فلا تميز وجود مبدع عن وجود مبدع ولا وجود خالق عن وجود مخلوق وهم يصرحون بهذا في كتبهم وفي كلامهم ولكنهم في حيرة وضلال فانهم اذاً يشهدون ان بين الموجودات تباينا وتفرقا فيريدون أن يجمعوا بين ما ادعوه من وحدة الوجود وبين التعدد للموجود فاضطربوا في ذلك ﴿ فأما صاحب الفصوص فكلامه يدور على أصلين ﴾ أحدهما ان الاشياء كلها ثابتة في العدم مستغنية بنفسها نظير قول من يقول المعدوم شيء لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق اذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة وان كان قد يناقض ذلك قولهم فانهم كلهم يتناقضون وكل من خالف الرسل فلا بد أنه يتناقض قال تعالى (انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وقال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)* الاصل الثاني ان الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة هو عين وجود الحق الواجب ﴿ ولهذا قال في أول الفصوص في الشيثية ﴾ ومن هؤلاء يعني الذين لا يسألون الله من يعلم ان علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها ويعلم ان الحق لا يعطيه الا ما أعطاه عينه من العلم به وهو ما كان عليه من حال ثبوته فيعلم علم الله به من أين حصل وما ثم صنف من أهل الله اعلى وا كشف من هذا الصنف فهم الواقفون على سر القدر وهم على قسمين منهم من يعلم ذلك مجملا ومنهم من يعلم ذلك مفصلا والذي يعلمه مفصلا أعلي وأتم من الذي يعلمه مجملا فانه يعلم ما في علم الله فيه إما باعلام الله اياه مما أعطاه عينه من العلم به وإما بان يكشف له عن عينه الثابتة وانتقالات الاحوال عليها الى ما لا يتناها وهو أعلي فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به لان الآخذ من معدن واحد * هذا لفظه فهو مع كونه جعل عينه ثابتة قبل الوجود زعم ان الحق لا يعطيه الا ما أعطاه عينه من العلم به فجعل الحق تعالى عاجزا لا يقدر الا على ما كانت عليه عينه وجعله لا يعلم بمخلوقاته من جهة نفسه بل يراها في حال ثبوتها التي لا تفتقر فيه اليه فيعلم أحوالها حينئذ وزعم ان العبد قد يساويه في هذا العلم ولهذا صرح بحدوث علم الله ومساواة العبد له في ذلك فقال لانه الاخذ من معدن واحد الا انه من جهة العبد عناية من الله تعالى سبقت له هي من جملة أحوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف اذا أطلعه الله على ذلك أي على أحوال عينه الى أن قال فبهذا القدر يقول ان العناية الالهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في افادة العلم ومن هنا يقول الله تعالى حتى نعلم وهي كلمة محققة المعنى ما هي كما يتوهمه من ليس

له في هذا المشرب شرب فتبين مساواة العبد له في العلم وان علم الله حادث كما ان علم العبد حادث ﴿وهذا أصل مذهبه﴾ ان كل واحد من وجود الحق وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر اليه كما ذكره في الخليلية وغيرها ولهذا يقول فيعبدني واعبده ويحمدني وأحمده ويقول ان الحق يتصف بجميع صفات العبد المحدثات وان المحدث يتصف بجميع صفات الرب مع انه يقول انهما شيء واحد اذ لا فرق في الحقيقة بين الوجود والثبوت فهو يقول في الكون كله نظير ماقالته الملكانية من النصارى في المسيح لكنه يزيد عليهم بأن يسوي بين الحق والخلق وان الحق مفتقر الى الخلق وان الأمر عنده لم يزل كذلك مع زيادته عليهم فانه قال في جميع المخلوقات أعظم مما قالوه في المسيح ثم أخذ يتكلم في منح الحق ذاته وبين انه اذا منح العبد وجوده فانما يكون بحسب ماعليه ذواتهم ولا يرون الا صورة ذواتهم في وجوده ولا يرون الحق أبداً ولا يمكن أن يروه لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ ليس له وجود سوى ذوات المخلوقات وماسوى وجود المخلوقات فعدم *قال فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية فلا تكون أبداً الا تجلي الهي والمتجلي من الذات لا يكون الا بصورة استعداد المتجلي له وغير ذلك لا يكون فاذاً المتجلي له مارأى سوى صورته في مرآة الحق ولا يرى الحق ولا يمكن أن يراه مع علمه انه مارأى صورته الا فيه كالمرآة في الشاهد اذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك انك مارأيت الصورة أو صورتك الا فيها فأبرز الله تعالى ذلك مثالاً نصبه لتجليه للذوات ليعلم المتجلي له انه ماراه ومائم مثال اقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من هذا وأجهد في نفسك عند ماترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة لا تراه أبداً ألبتة الى أن قال واذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن تترقى في أعلا من هذا الدرج فما هو ثم أصلا ومابعده الا العدم المحض فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها وليست سوى عينه فاختلط الأمر وانبهم فمنا من جهل وقال والعجز عن درك الادراك ادراك ومنا من علم فلم يقل مثل هذا وهو أعلى القول بل أعطاه العلم السكوت ماأعطاه العجز وهذا هو أعلى عالم بالله هذا لفظه* ثم انه لم يكتف بهذا الذي ذكره مما حقيقته جحود الخالق وانه ليس ثم موجود سوى المخلوقات وهو حقيقة قول فرعون فجعل العالم بذلك أعلى عالم بالله حتى جعل الرسل جميعهم والأنبياء يستفيدون هذا العلم من مشكاة الذى جعله خاتم

الاولياء وجعله أفضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به وانه يأخذ عن الأصل من حيث يأخذ الملك الذى يوحى الى خاتم الرسل وان خاتم الرسل انما هو سيد في الشفاعة فسيادته في هذا المقام الخاص لا على العموم فقال وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء وان الرسالة والنبوة أعني نبوة الشرائع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبداً فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ماذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح فى مقامه ولا يناقض ماذهبنا اليه فانه من وجه يكون أنزه كما انه من وجه يكون أعلى وقد ظهر في ظاهر شرعنا مايؤيد ماذهبنا اليه في فضل عمر فى أسارى بدر بالحكم فيهم وفي تأبير النخل مما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة وانما نظر الرجال الى التقدم فى رتبة العلم بالله هنالك مطلبهم وأما حوادث الاكوان فلا تعلق لخواطرهم بها ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوي موضع لبنة فكان النبي صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة غير انه لا يراها الا كما قال لبنة واحدة فكان يرى نفسه موضع تلك اللبنة وأما خاتم الأولياء فلابد له من هذه الرؤية فيرى مامثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع لبنتين من ذهب وفضة فيرى اللبنتين ينقص الحائط بهما ويكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة ولا بد أن يرى نفسه منطبعا في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الاولياء تلك اللبنتين فيكمل الحائط والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره ومايتبعه فيه من الاحكام كما هو آخذ عن الله في السر ماهو بالصورة الظاهرة متبع فيه لانه يري الامر على ماهو عليه فلابد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فانه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسل فان فهمت ماأشرت به فقد حصل لك العلم النافع فكل نبي من بنى آدم الي آخر نبي مامنهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين وان تأخر وجود طينته فانه بحقيقته موجود وهو قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وغيره ما كان نبيا الى حين بعث وكذلك خاتم الاولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين وغيره من الاولياء ما كان وليا الا بعد تحصيل شرائط الولاية من الاخلاق الالهية فى الاتصاف بها من كون الله تسمى بالولي الحميد فخاتم الرسل من حيث

ولايته نسبته مع الختم للولاية نسبة الانبياء والرسل معه فان الولي الرسول النبي وخاتم الاولياء الولي العارف الآخذ عن الاصل المشاهد للمراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة فعين حالا خاصا ماعمم وفي هذا الحال الخاص مقدم على الاسماء الالهية فان الرحمن ماشفع عند المنتقم في أهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين فقام محمد بالسيادة فى هذا المقام الخاص فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام الى أن قال* وبهذا العلم سمى شيث لان معناه هبة الله فبيده مفتاح العطايا على اختلاف أصنافها ونسبها فان الله وهبه لآدم أول ماوهبه وما وهبه الا منه لان الولد سر أبيه فمنه خرج واليه عاد فما أباه غريب لمن عقل عن الله وكل عطاء فى الكون على هذا المجرى فما فى أحد من الله شيء ومافي أحد سوى نفسه وان تنوعت عليه الصور وماكل أحد يعرف هذا وان الامر على ذلك الا آحاد من أهل الله فاذا رأيت من يعرف ذلك فاعتمد عليه وذلك هو عين صفات خلاصة خاصة الخاصة من عموم أهل الله فأي صاحب كشف شاهد صورة تلقى اليه مالم يكن عنده من المعارف وتمنحه مالم يكن قبل ذلك فى يده فتلك الصورة عينه لاغيره فمن شجرة نفسه جنى ثمرة غرسه ﴿وقال أيضا في الاذريسية﴾ من اسمائه الحى العلي على من وما ثم الا هو العلي لذاته أوعن ماذا وماهو الاهو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها وليست الاهو فهو العلي لاعلو اضافة لان الاعيان التى لها العدم الثابتة فيه ماشمت رائحة من الوجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الاسماء وهي النسب وهى أمور عدمية وليس الا العين التى هى الذات فهو العلي لنفسه لابالاضافة فعلو الاضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك يقول فيه هؤلاء هو أنت لاأنت قال أبو سعيد الخراز وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بان الله لا يعرف الا بجمعه بين الاضداد في الحكم عليه بها فهو الاول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ماظهر فى حال بطونه وهو عين مابطن فى حال ظهوره ومائم من يراه غيره ومائم من ينطق عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات الى أن قال * ومن عرف ماقررناه في الاعداد وان نفيها عين اثباتها علم ان الحق المنزه هو الخلق المشبه وان كان قد تميز

الخلق من الخالق بالامر الخالق المخلوق والامر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ماتؤمر والولد عين أبيه فما رأى يذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة انسان وظهر بصورة انسان وظهر بصورة والد بل بحكم ولد والد من هو الوالد وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه فمنه الصاحبة والولد والامر واحد في العدد فمن الطبيعة ومن الظاهر فيها وما رأيناها نقصت بما ظهر فيها ولا زادت بعد ما ظهر وما الذى ظهر غيرها وما هي عين ما ظهر لاختلاف الصور بالحكم فهذا بارد يابس وهذا حار يابس فجمع بين اليبسين وأبان بغير ذلك والجامع الطبيعة لا بل العين الطبيعة بل معالم الطبيعة صور فى مرآة واحدة لا بل صورة واحدة في مراء مختلفة فما ثم الا حيرة لتفرق النظر ومن عرف ما قلناه لم يحر وان كان في مزيد علم وليس الامر الا حكم المحل والمحل عين العين الثابتة فيها يتنوع الحق فى المحل بتنوع الاحكام عليه فيقبل كل حكم وما يحكم عليه الا عين ما تجلى فيه ماثم الا هذا ثم أنشد

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا * وليس خلقا بذاك الوجه فاذكروا
من يدر ماقلت لم تخذل بصيرته * وليس يدريه الا من له بصر
جمع وفرق فان العين واحدة * وهي الكثيرة لا تبقى ولا تذر

فالعلي لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى فيه تستغرق جميع الامور الوجودية والنسب العدمية بحيث لا يمكن أن يفوته نصيب منها وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أومذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة * فهذا وغيره من كلامه يبين ان الوجود عنده واحد وليس للخالق وجود مباين لوجود المخلوقات بل وجودها عينه ثم يذكر الظاهر الخيالي والمراتب وهى عنده الذوات الثابتة فى العدم المساوية للوجود وأما أسماء الله تعالى فهى عنده النسبة التى بين الوجود وبين هذه المراتب وهى في الحقيقة أمور عدمية فكل من الوجود والثبوت لا ينفك عن الآخر ولا يستغنى عنه وهو شبيه بقول من يقول الوجود غير الماهية وهو ملازم لها والمادة غير الصورة وهى ملازمة لها * لكن صاحب الفصوص يجعل وجود هذا الوجود الحق الذى هو وجود كل شيء فهو الموصوف عنده بجميع صفات النقص والذم والكفر والفواحش والكذب والجهل كما هو الموصوف عنده بصفات المدح والكمال

فهو العالم والجاهل والبصير والأعمى والمؤمن والكافر والناكح المنكوح والصحيح والمريض والداعي والمجيب والمتكلم والمستمع وهذا كله يذكره في مواضع من كلامه وهذا عنده غاية الكمال وفي هذا المعنى ينشدون

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

وهو عنده هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم وقد يقول لا هو العالم ولا غيره وقد يقول هو العالم أيضا وهو غيره وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها في المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين إذ ليس مذهبه في الغيرين مذهب الصفاتيه

﴿ فصل ﴾ وأما صاحبه القونوي فقد كان التلمساني صاحب القونوي وهو أحذق متأخريهم يقول انه كان أتم من شيخه ابن عربي وكان ابن سبعين يقول عن التلمساني إنه أتم تحقيقا من شيخه القونوي والقونوي أعرض عن كون المعدوم ثابتا في العدم فان هذا معلوم الفساد عند الأئمة في المعقول والمنقول ولكن سلك طريقا هي أبلغ في التعطيل مضمونها ان الحق هو الوجود المطلق والفرق بينه وبين الخلق من جهة التعيين فاذا عين كان خلقا واذا أطلق الوجود كان هو الحق هذا *وقد علم ان المطلق بشرط اطلاقه لا وجود له في الخارج عن محل العلم فليس في الخارج انسان مطلق بشرط الاطلاق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق ولا جسم مطلق بشرط الاطلاق ولا موجود ولا وجود مطلق بشرط الاطلاق فاذا قال ان الحق تعالى هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق فهذا لا وجود له في الخارج وانما الذهن يقدر وجودا مطلقا كما يقدر حيوانا مطلقا وانسانا مطلقا وفرسا مطلقا وجسما مطلقا وان قال انه المطلق لا بشرط فهذا اما ان يقال انه لا وجود له في الخارج أيضا واما أن يقال هو موجود في الخارج لكن بشرط التعيين إذ ليس في الخارج الا وجود معين فعلى أحد التقديرين يكون وجود الحق هو الوجود المعين المخلوق وعلى الآخر لا وجود له في الخارج وكلامهم كله يدور على هذين القطبين اما أن يجعلوا الحق لا وجود له ولا حقيقة في الخارج أصلا وانما هو أمر مطلق في الأذهان واما أن يجعلوه عين وجود المخلوقات فلا يكون للمخلوقات خالق غيرها أصلا ولا يكون رب شيء ولا مليكه وهذا حقيقة قول القوم وان كان بعضهم لا يشعر بذلك (ولما كان هؤلاء نسخة الجهمية) الذين تكلم فيهم السلف والأئمة مع كون أولئك كانوا أقرب الى الاسلام

كان كلام الجهمية يدور أيضاً على هذين الأصلين فهم يظهرون للناس والعامة ان الله بذاته موجود في كل مكان أو يعتقدون ذلك وعند التحقيق اما يصفونه بالسلب الذي يستوجب عدمه كقولهم ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا محايث له ولا متصل به ولا منفصل عنه وأشباه هذه السلوب فكلام أول الجهمية وآخرهم يدور على هذين الأصلين اما النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه واما الاثبات الذي يقتضي انه هو المخلوقات أو جزء منها أو صفة لها وكثير منهم يجمع بين هذا النفي وهذا الاثبات المتناقضين واذا حوقق في ذلك قال ذاك ساب مقتضى نظري وهذا الاثبات مقتضى شهودي وذوقي ومعلوم ان العقل والذوق اذا تناقضا لزم بطلانهما أو بطلان أحدهما (وأما ابن سبعين) فقوله يشبه هذا من وجه وهو الى قول القونوي أقرب لكنه يجعله الوجود الثابت الذي يختلف على صور الموجودات فانه يقول بثبوت الماهيات المطلقة في الموجودات المعينة ولا يقول بانفكاكها عن الوجود (وهذا قول ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة) وهذا كما ترى مع موافقته لقول من يقول المعدوم شيء فهو يخالفه من هذين الوجهين ويقول مع ذلك ان وجوده هو تصور الماهيات فتارة يجعله بمنزلة المادة الجسمية والاشياء بمنزلة صورها والقول بأن الجسمية مركب من المادة والصورة قول الفلاسفة المشائين وابن سبعين يحتذي حذوهم ويقول انه مقدم عليهم وعلى غيرهم ويقول انه أنشأ الحكمة التي رمز اليها هرامس الدهور الأولية وبين العلم الذي رامت إفادته الهداية النبوية * وقد تنازعوا في إمكان انفراد المادة عن الصورة فأرسطو وأصحابه على انه لا يمكن انفكاكها عنها بخلاف أفلاطون ويزعمون ان المادة جوهر روحاني قائم بنفسه وان الصورة الجسمية جوهر قائم بها وان الجسم يتولد من هذين الجوهرين والعقلاء والمحققون يعلمون ان هذا باطل كما قد بسطناه في غير هذا الموضع * والهيولى عندهم أربعة أقسام الصناعية والطباعية والكلية والاولية فالصناعية كالدرهم الذي له مادة وهي الفضة وصورة وهي الشكل المعين وكذلك الدينار والخاتم والسرير والكرسي ونحو ذلك وهذا القسم لا نزاع فيه بين العقلاء لكن هذه الصورة عرض من أعراض هذا الجسم وصفة له ليست جوهرا قائما بنفسه وهذا أمر معلوم بالضرورة حسا وعقلا وأما الطباعية فكصور الحيوان والنبات والمعدن فانه أيضا مخلوق من مادة كالهواء والماء والتراب وهذا أيضا لا نزاع فيه لكن هذه الصورة جوهر قائم بنفسه مستحيل عن تلك المواد ليست هي صفة له كالاول * واذا تدبر

العاقل هذين النوعين علم فساد قول من يجعل الصورة في النوعين جوهرا كما يقوله من يقوله من المتفلسفة ومن يجعل الصورة في الموضعين صفة وعرضا كما يقوله من يقوله من المتكلمة الجسمية * وأما القسم الثالث الذي هو الكلي فهو دعواهم ان الجسم له مادة هي جوهر قائم بنفسه لا يحس وانما هي مورد الاتصال تارة والانفصال العارضين للجسم تارة وان هناك شيأ هو غير الجسم الموصوف بالاتصال تارة والانفصال أخرى وهذه المادة باطلة عند جماهير العقلاء كما قد بيناه في غير موضع وان كان أيضا تركيب الجسم من الجواهر الفردة باطلا أيضا عند جماهير العقلاء فلا هذا ولا هذا * ثم هذه المادة قد ذكروا عن افلاطون انه قال يمكن انفرادها عن الصورة كما يحكون عنه نظير ذلك في المدة وهي الدهر وفي المكان وهو الخلاء انهما جوهران قائمان خارجان عن أقسام العالم * وفي المثل المعلقة الافلاطونية * المكان والزمان والمادة والصور قول متشابه وجمهور العقلاء يعلمون ان هذا الذي أثبته في الخارج انما هو في الأذهان لا في الاعيان ومن المعلوم ان قول من يقول ان هذه المادة المدعاة أنها جزء للجسم يمكن تجردها عن الصورة شبيه بقول من يقول المعدوم شيء ثابت ثبوتا مجرداً ليس وجوده (وفي ذلك المناظرة المعروفة) لأبي اسحاق الاسفرائيني مع الصاحب اسماعيل بن عباد رفيق القاضي عبد الجبار وكلاهما تلميذا أبي عبد الله البصري الملقب القائم بنصر طريقة أبي علي وأبي هاشم لما ذكر له ابن عباد ان الفلاسفة القائلين بقدم الهيولى أعقل من أن يريدوا بذلك الوجود وانما أرادوا ثبوت الذوات التي تقوله المعتزلة فعارضه الاسفرائيني بأن قال المعتزلة أعقل من أن يريدوا بقولهم ان المعدوم شيء ثابت الا ماأراده أولئك بقولهم بأن المادة قديمة موجودة فتكون المعتزلة قائلة بقدم المواد التي هي الاجسام * ومن هنا ذكر الشهرستاني وغيره تقارب القولين وان كان كلاهما باطلا وان كان قول هؤلاء المتفلسفة أشد بطلانا إذ هو باطل مكرر فان دعوي تركيب الاجسام من المادة والصورة الذين هما جوهران قائمان بأنفسهما دعوى باطلة كما هو قول أرسطو وذويه ثم دعوى انفرادها باطل على باطل وأيضا فان هؤلاء المتفلسفة قد يقولون وجود الاشياء زائد على ذواتها في الخارج ويفرقون بين الواجب والممكن بأن الوجود الواجب هو الوجود المقيد بقيد كونه غير عارض لشيء من الماهيات بخلاف الممكن كما يذكره ابن سينا وغيره عن مذهبهم وحينئذ فيكونون قد جمعوا في هذا أنواع الباطل من الممكن وجعلوا الواجب هو الوجود المطلق الذي

لا يتحقق الا في الاذهان لا في الأعيان وهو في الحقيقة تعطيل لوجود الواجب وعلى هـذا فقول القائلين من المعتزلة والمتفلسفة بأن الوجود ماهية موجودة في الخارج زائدة على الوجود في الخارج الذي هو الموجود في الخارج وان الوجود قائم بتلك الماهية هو شبيه بقول من يقول ان الجسم مادة هي جوهر قائم بنفسه وهو محل الصورة الجسمية التي هي أيضا جوهر وهؤلاء يعمدون الي الشيء الواحد المعلوم واحـدا بالحس والعقل يجعلونه اثنين اذ كان له وجود عيني ووجود ذهني فظنوا ان الذهني خارجي (ثم جاء المدعون انهم محققوهم) الى مايعلم انهما متباينان وهو وجود الخالق سبحانه البائن المتميز عن وجود المخلوق فزعموا انه هو وان الوجود واحد لا يتميز منه وجود الخالق (فقول ابن سبعين) يشبه قول ابن عربي من حيث ان قوله يشبه قول أهل المادة والصورة كما يشبه قول ذلك قول أهل الثبوت والوجود المفرقين بينهما الذين يقولون المعدوم شيء لـكن ابن عربي يجعل الوجود الذي هو حال في الثبوت والثبوت محـل له هو وجود الحق كما تقدم فهو وان كان يقول بأن الوجود واحد فهو يقول بالاتحاد والحلول من هذا الوجه ولا ريب ان القولين متناقضان وهو يذكر تناقض ذلك ويشـير الى أن ذلك هو الحيرة وهو أعلى العلم (وابن سبعين) يجعل وجود الحق هو الثابت بدأ الذي هو كالمادة والخلق هو المتنقل الذي هو الصورة فهو وان قال بأن الوجود واحـد فهو يقول بالاتحاد والحلول من هذا الوجه لـكن الحق عنـده محـل للخلق وعلى قول ابن عربي حال في الخلق وقد تقدم ذكر بعض قول ابن عربى (وأما ابن سبعين) ففي بعض الواحد يقول فقد رأى للصورة المحيطة لجميع الصـور لها اسم من حيث هى صورة في متصور قائم بذاته وهي قائمة به وللمتصور من حيث هو موصوف بها اسم ولما ارتبطا ارتباطا لا يصح انفكاكه أبدا دخلت العمرة في الحج الى يوم القيمة ولم يصح الاخبار عن مطلق الصورة الا ومطلق المتصور ضمنا ولا محيط المتصور الا والصورة ضمنا فالمتصور بالصورة يسمى بظاهر الصورة ظاهرا وبباطنها باطنا ويحكم عليه بكل حكم قبلته الصورة من اطلاق وحصر وغيبة وحضور وأحدية وكـثرة وجمع وتفرقة وسذاجة ولون وحركة وسكون الى مالا ينضبط كـثرة من الاسماء والصفات فللصورة من حيث هى جميع التعددات والتنقلات والتحولات والتفاضل وللمتصور من حيث هو لا من جهتها لا وصف ولا نعت ولا اسم ولا رسم ولا حد وان كان له شيء من ذلك ولكن باول مرتبـة صورية اطلاقـه

فله الاطلاقات الوحدية والجمع والسذاجة والسكون والثبوت وشبه ذلك وللصورة من حيث هي لكن من تقدير قيامها بفائض هذه ولا حديث عنها ولا عنه الا بقيد ارتباط بعضها ببعض أول مرتبة من مراتب الارتباط بفائض ذلك وهي الحصرة والكثرة والتفرقة والالوان والحركات والتنقلات لكن لا يقع الحديث الا عنهما معا بل كل كلام منطوق به أي القسمين غلب عليه فان كان الكثرة والتعدد واخواتهما فاعلم أن المخاطب هو الصورة والخلق يتصورها وصفا وان غلبت الوحدة واخواتها فالمخاطب بذلك المتصور الحق فاذا رأيت التعدد والتنقل والحركة والولادة فذلك للصورة والخلق واذا رأيت الوحدة والثبوت ولم يلد ولم يولد فذلك للحق القائم على كل نفس بما كسبت وكل شيء هالك الا وجهه فهو الحق القائم على كل شيء لان الاعراض وهي الصورة لا تبقى زمانين أصلا بل تتبدل في كل نفس اما بمثل أو بضد أو خلاف لانها لذاتها ثابتة وانما المسمى بقاء هو توارد الامثال في كل نفس فيظن أن الثاني عين الأول وليس كذلك ولا ينبغي ذلك لأن القائم به (كل يوم هو في شأن) يريد تعالي كل نفس فيرد المثل بعد المثل ولا يشعر بذلك المحجوب فيظن أن ذلك الأول باق وهيهات لا بقاء الا لله وحده والفناء لكل ماسواه بالذات في كل نفس والصورة الجزئية تبقى بتوالي الامثال * الى أن قال * واما مطلق الصورة فبقاؤها بعدم الخلق عن الصور سواء كانت امثالا لها أو مضادة أو مغايرة لمقصود عمران مطلق الصورة الوجودية صورا فالوجود واحد وهو القائم بجميع الصور غير الخالي عنها على التعاقب والصور هي الهالكة وأما المتعاقبة دورانا كائنة فانية شاهدة غائبة قديمة حديثة موجودة معدومة (فابن سبعين) في هذا الكلام جعله كالمادة وجعل المخلوق كالصورة وهما مرتبطان لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر وفي هذا من الباطل والكفر مالا يخفى على عاقل مع ما في الكلام غير ذلك مثل قوله عن الصور إنها اعراض والعرض لا يبقى زمانين فان الذين قالوا ان العرض لا يبقى زمانين وان كان أكثر العقلاء على خلافه لم يقصدوا الصورة التي هي الجسم وانما قصدوا الاعراض القائمة بالجسم * ولكن يحكى عن النظام أنه قال الاجسام لا تبقى زمانين فهذا يشبه قول النظام * وفي كلام ابن عربي مايشبه هذا وتارة يجعله الوجود المطلق الذي تتعاقب عليه الموجودات المعينات ويجعل الموجودات المعينة بمنزلة الماهيات وان لم يجعلها ثابتة في العدم كما قال في لوح اخر اجل عند أصحابه من ذلك اللوح وهو عندهم نهاية التحقيق حتي قد يجعلونه في رؤسهم مبالغة في حفظه

وتذكره قال هو الكل بك معينا وكل الكل بك لا معينا وأنت الخبر به لا معينا وجزء الخبر به لا معينا وأنت لا به لا شيء وهو لا بك ثابت ابداً فالكمال له بك معينا وكمال الكمال له لا بك لا معينا وبدونك لا وصف له الا الثبوت وهو الوجود في كل موجود وهو مع كل شيء ومتى سرى في ذلك الشيء حكم الى غيره فمنه لا من ذلك الشيء فله في ذلك الحكم ايجاده وللشيء فيه الشبه فقط لانه في الماء ماء وفي النار نار وفي الحلو حلو وفي المر مر فمهما سرى حكم من شيء الى شيء فله هو في ذلك الحكم ايجاده وللشيء فيه التشبه فهذا الكلام يتضمن أنه هو وجود العالم وكل جزء من العالم اما أن يوجد معينا كهذا الانسان وهذا النبات أو مطلقا كالانسان والنبات فكل جزء اذا أخذ غير معين فهو جزء من وجود العالم وان أخذ معينا فهو من المطلق الذي هو جزء من وجود العالم فهو والعالم هو الكل للجزء اذا عين واذا أطلق ولم يعين فهو كل النوع الذي هو كل المشخص (واعلم) انا لم نقصد في هذا الجواب الرد على هؤلاء وبيان ما في كلامهم من الكفر والباطل والضلال فقد أوضحنا ذلك في غير هذا الموضع وبيناه بيانا شافيا وانما القصد هنا التنبيه على جمل أقوالهم لتصور فان تصورها يكفي في بيان بطلانها فان هذا الكلام وان تضمن أنه ليس غير العالم وتضمن تعطيل أن يكون للعالم خالق مباين له كما هو معلوم بالضرورة من دين جميع أهل الملل بل من دين كل من يقر بالصانع وهم يصرحون بذلك كما يقول ابن عربي ان العالم صورته وهويته فانه متناقض باطل في نفسه فان الناس يعرفون انقسام الكلي الى جزئياته كانقسام الجنس الى أنواعه والي اشخاص أنواعه كانقسام الحيوان الى الناطق والأعجم وانقسام الناطق الى العربي والعجمي وانقسام الكلمة الاصطلاحية الى الاسم والفعل والحرف وانقسام الماء الى الطهور والطاهر والنجس واشباه ذلك وهنا اسم المقسوم يصدق على الاقسام وانقسام الكل الى اجزائه كقسمة الميراث بين الورثة والعقار وغيره بين الشركاء ومنه (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) ومنه انقسام الدار الى السقف والارض والحيطان وأعضاء الوضوء الى مغسول وممسوح وهذا القسم هو الذي أراده من قسم الكلام الى الاسم والفعل والحرف واذا كان كذلك فهؤلاء تارة يجعلون الحق تعالى لاجزاء العالم كالكل لاجزائه فيجعلون كل شيء من العالم بعضا منه وجزأ له كامواج البحر من البحر وينشدون

وما البحر الا الموج لا شيء غيره * وان فرقته كثرة بالتعدد

وتارة يجعلونه هو الوجود المطلق المنقسم الى قائم بنفسه وغيره وربما يجعلونه الوجود من حيث هو هو المنقسم الى واجب وممكن فاذا أرادوا الاول كان هو نفس العالم اذ العشرة ليست غير الآحاد لكن لها صورة الاجتماع وكما ان اعضاء الوضوء ليست غير الممسوح والمغسول ولكن لا وجود للجملة الا باجزائها (ثم من العجائب) انهم يبنون كلامهم على غاية النفي والتنزيه الذي هو محض التعطيل فينفون الصفات لان الصفات تستلزم في زعمهم التركيب والمركب مفتقر الى اجزائه واجزاؤه غيره والمفتقر الى غيره ممكن ليس بواجب بنفسه فهذه هي عمدتهم في نفي صفاته الثبوتية * وقد بسطنا الكلام على فساد هذه الحجة في غير هذا الموضع بسطا تاما وبينا ان عامة مافيها وفي امثالها من المقدمات انما هي قضايا سفسطائية قد ألفت من الفاظ مجملة متشابهة تشتمل على حق وباطل كما قال الامام أحمد في هؤلاء يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فان لفظ التركيب المعروف في اللغة هم يريدونه لذلك وكذلك لفظ الجزء والافتقار والغير وانما يعنون بلفظ التركيب معاني اصطلحوا على تسميتها تركيبا وهي نوعان الصفات والمقادير فالاول كقولهم الانسان مركب من الحيوان والناطق والانسانية مركبة من الحيوانية والناطقية ومعلوم ان الحيوان والناطق صفتان للانسان والصفة لاتوجد بدون الموصوف وأما تسمية الحيوان والناطق غيرين للانسان فتسمية اصطلاحية أيضا وأما قولهم ان المركب مفتقر الى جزئه فتسمية هذا افتقاراً أيضا لفظ اصطلاحي وانما هو ملازم فان هذا الموصوف لايوجد بدون وصفه فهو وهما متلازمان ليس هنك شيء ثابت غير الحيوان والناطق حتى يوصف بانه مفتقر الى الحيوان والناطق بل المقصود ان حقيقة الانسان مستلزمة لان يكون حيوانا ناطقا وقولهم ان جزأه غيره فهو اصطلاح طائفة فان للناس في لفظ الغير اصطلاحين مشهورين أحدهما اصطلاح المعتزلة والكرامية ونحوهم ممن يقول الصفة غير الموصوف وهؤلاء فيهم من ينفي الصفات كالمعتزلة ومنهم من يثبتها كالكرامية وهم يقولون ان الغيرين هما الشيئان أو هما ماجاز العلم باحدهما دون الآخر والثاني اصطلاح أكثر الصفاتية من الاشعرية وغيرهم ان الغيرين ماجاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود زمان أو مكان ومن هؤلاء من يقول ماجاز مفارقة أحدهما الآخر ولهذا يقولون ان الصفات لاهي الموصوف ولاهي غيره وكذلك جزء الجملة كالواحد من العشرة واليد من الانسان قد يقولون فيها ذلك

والاولون يقولون الصفة غير الموصوف وأما حذاق الصفاتية من الكلابية وغيرهم فهم على منهاج الائمة كما ذكره الامام أحمد فى الرد على الجهمية لما سألوه عن القرآن أهو الله أم غير الله لا يقولون الصفة لاهي الموصوف ولا هي غيره بل لا يقولون الصفة هي الموصوف ولا يقولون هي غيره فيمتنعون عن الاطلاقين وهذا سديد فان لفظ الغير لما كان فيه اجمال لم يطلق نفيه حتى يتبين المراد فان أريد بانه غير مباين له فليس هو غيره وان أريد أنه ليس هو إياه أوانه يمكن العلم به دونه فنعم هو غيره (واذا فصل المقال زال الاشكال) فاذا قيل ان الصفة أوالجزء غير باحد الاصطلاحين كان باطلا واذا قيل انها غيره بالاصطلاح الآخر لم يمتنع أن يكون لازما للموصوف وحينئذ فيكون الموصوف مستلزما لصفة لا توجب أن يكون مفتقرا الى حقيقة مستغنية عنه كافتقار الممكنات الى واجب الوجود والذي علم بصريح العقل ان ما كان واجب الوجود بذاته لا تكون حقيقته مفتقرة الى حقيقة أخرى مباينة لذاته لان ذلك يمنع أن يكون واجبا بذاته ولذلك انحصرت قسمة الموجود الى واجب بذاته وممكن بذاته وكان الاعتراف بالموجود الواجب أمرا ضروريا لا يمكن دفعه وليس من الاعتراف به اعتراف بصانع العالم بل فرعون وأمثاله ممن ينكر الخالق تعالى لا يدفع وجود موجود واجب الوجود وانما الشأن في تعيينه فقد يقربه ويزعم انه العالم كما هو حقيقة قول هؤلاء ولهذا لما كان متكلمة الصفاتية أقرب الى الحق الذي جاءت به الرسل كان الغالب على عباراتهم لفظ الصانع فانه شبيه بلفظ الرب والخالق ونحو ذلك مما كثر لفظه في الكتاب والسنة ولما كان الاقرب الى الحق بعدهم المعتزلة كان الغالب على كلامهم لفظ قديم فيقولون القديم والمحدث لانهم أثبتوه بناء على حدوث الاجسام والمحدث لا بد له من محدث (وأما هؤلاء المتفلسفة) فلما كانوا أبعد عن طريقة الرسل كان الغالب على كلامهم واجب الوجود *ولاريب ان تقرير ذلك يسهل فان الوجود أمر محسوس مشهود والموجود اما ان يكون من حيث ذاته قابلا للعدم واما ان لا يكون فالثانى هو الواجب والاول اذا كان موجودا فقد يمكن الوجود والعدم وحينئذ فيمتنع ان يكون وجوده من ذاته فانها لا تختص بوجود ولا عدم بل التحقيق انه ليس له بدون وجوده ذات يحكم عليها الا ماتقدم فى الذهن ومتى قدر وجود ليس وجوده من ذاته تعين ان يكون وجوده من غيره فكل موجود وجوده امابنفسه وإما بغيره واذا كان كل ممكن موجود بغيره لزم قطعا وجود موجود ليس بممكن وكل موجود

ليس بممكن فهو الواجب فوجود الواجب لازم على التقديرين ضرورة فهذا الوجود الواجب الذى يشهد به هذا البرهان الذي يذكرونه وان تنوعوا في تصويره يمتنع أن يفتقر الى ما هو مباين لذاته فانه حينئـذ لا يكون موجودا بنفسه بل به وبذلك الغير فقط وهو خلاف ما دل عليه البرهان من انه لابد من موجود بنفسه لايوقف على غيره لان وجوده بنفسه يناقض كونه متوقفا عليه وتوقفه عليه يناقض كونه واجبا بنفسه فيكون واجبا بنفسه لا واجبا بنفسه وهو جمع بين النقيضين ولانه ان كان ذلك الغير واجبا بنفسه كان هو الواجب وكان الاول ممكنا وان كان ذلك الغير ممكنا فهو مفتقر الى الواجب فلو كان كل منهما مفتقرا الى الآخر فالمراد بالافتقار هنا افتقار المعلول الى علته لزم ان يكون كل منهما علة الآخر والمعلول متوقف على علته فيلزم أن يكون كل منهما متوقفا على معلوله التوقف على ذاته فتكون ذاته مستلزمة التقدم على ذاته ومستلزمة التأخر على ذاته وذلك مستلزم كونها موجودة معدومة في الحال الواحد وهو جمع بين النقيضين وهذا هو الدور القبلي وهو ممتنع لذاته وأما الدور المعي وهو كون كل واحد من الشيئين لا يوجد الا مع الآخر فهذا ليس بممتنع وهو دور الشروط مثل الامور المتقارنة فان الابوة لا توجد الا مع البنوة ومعلولا العلة لا يوجد أحدهما الا مع الآخر وأمثال ذلك من الامور المتلازمة فواجب الوجود يمتنع ان يقف وجوده على شيء مباين له توقف المعلول على العلة وأما كون ذاته مستلزمة لصفاته فهذا لا يقتضي أن يكون متوقفا على مباين له توقف المعلول على العلة أكثر ما يقال ان ذاته لا توجد الا مع هذا وهذا لو كان مباينا له منفصلا عنه لم يكن ما ذكروه من اثبات واجب الوجود تابعا له كيف وهم يزعمون أنه مستلزم لوجود العالم والعالم لازم له لا يمكن مفارقته له فمن يكون قوله في واجب الوجود بهذا الحال كيف يمتنع أن تكون له صفات تستلزم ذاته وسواء سمي ذلك تركيبا أو لم يسم اذ لا عبرة بالعبارات والمعاني الذى يقوم الدليل على نفيها واثباتها فكيف والصفات ليست مباينة له ولا منفصلة عنه واذا قيل ان حقيقته أو وجوده أو نحو ذلك يتوقف عليها فغايته أن يفسر بالتلازم وهو توقف أحد المتلازمين على الآخر أو توقف المشروط على شرطه وليس هو توقف المعلول على علته وهذا لا يمنع كونه واجب الوجود بمعنى ان ذاته ليست لها علة منفصلة عن ذاته وهذا هو الذي أثبته البرهان ولهذا كان هذا بمنزلة أن يقال هو متوقف على ذاته أو مفتقر الى ذاته كما يقال هو واجب لذاته وموجود بذاته وهـذا لا ريب فيه واذا

فسر القائل قوله انه مفتقر الى ذاته بهذا المعنى كان هـذا المعنى حقا وان كان في العبارة ما فيها
واذا لم يكن هذا ممتنعا بل كان هذا واجبا فاذا قيل هو مفتقر الى ما يجعلونه جزأه أو صفته وكان
المراد بذلك استلزام ذاته لذلك وامتناع وجود ذاته بدون ذلك كان هذا أولى بالجواز وأبعد
عن الامتناع * وقد بسطنا الكلام على شبه هذه المقامات العظيمة التي تحل شبه هؤلاء وغيرهم
في غير هـذا الموضع * والمقصود هنا انهم اذا كانوا يقولون بمنع الصفات وغيرها مما هو مستلزم
للتعطيل حذرا من هذا المعني الذي يسمونه تركيبا وليس هو تركيبا ثم يجعلونه جملة العالم التي لها
أجزاء حقيقة غيرها وهو مركب منها وكل جزء مباين للآخر منفصل عنه فمعلوم ان هذا هو
التركيب وان كل ما نفوه ونزهوه عنه أثبتوه في ثاني الحال على أقبح الوجوه مع التعطيل المحض
ولهذا كانوا يرون الجمع بين كل نفي وتنزيه وان استلزم التعطيل وبين كل تشبيه وتمثيل ويرون
ذلك هو الكمال ومعلوم ان ذلك مع ما فيه من الكفر من الجانبين فهو مشتمل على الجمع بين النقضين
من وجوه لا تحصى وهو حقيقة مذهب القوم وهم يصرحون بذلك ثم من المعلوم ان بعض
اجزاء العالم يشاهد عدمه بعد الوجود ووجوده بعد العدم كصور الحيوان والنبات والمعدن وانواع من
الاعراض وهذا معلوم بالحس انه ليس واجب الوجود بل هو ممكن الوجود لقبوله العدم وما كان
واجب الوجود لذاته لا يقبل العدم اذ لو قبل العدم لكان ممكن الوجود وممكن العدم وهذا ليس
بواجب الوجود بذاته واذا كانت هذه الاجزاء التي شوهد عدمها يمتنع اتصافها بوجوب الوجود
لم يمكن ان يقال ان الكل واجب الوجود بل أكثر ما يقول هذا المفترى ما تقوله المعطلة الدهرية
ان منه ما هو واجب الوجود ومنه ما ليس بواجب الوجود وان واجب الوجود هو الافلاك
مثلا أو العناصر أو العقول والنفوس مع ذلك وهذا وان كان هذا القول يؤذن بتعطيل الصانع وهو غاية
الكفر باتفاق كل ذي عقل ودين فمعلوم انه أقرب من قول ان كل العالم هو واجب الوجود
(فتبا لطائفة تدعي التحقيق) والعرفان ويكون قولها أقبح وأعظم كفرا وضلالا من قول أكفر
الخلق بالرحمن * ولولا ان في هؤلاء القوم من يظن انه مقر بالله وانه معظم لله وان هذا الذي يقوله
تعظيم للحق لكانوا أكفر من هؤلاء من كل وجه لكنهم أجهل منهم قطعا وتارة يجعله هؤلاء
كالكلي المنقسم الى جزئياته فيجعلونه الوجود أو الموجود المطلق ومعلوم ان المطلق لا وجود
له في الخارج ولا يوجد الا معينا وهذا من أوائل ما في المنطق عندهم والمطلق بشرط اطلاقه

قد اتفقوا على انه لا يوجـد فى الخارج وأما المطلق لا بشرط فقـد غلط فيه بعضهم كالرازى وادعى وجوده فى الخارج وانه جزء من المعين والجمهور يعلمون انّ ما يوجد فى الخارج ليس الا معينا ليس مطلقا ﴿ وابن سبعين ﴾ يجعله تارة فى كلامه الـكلي واجزائه وتارة يجعـله الـكلي الذى هو الوجود فلا يكون له وجود في الخارج بحال ولـكن كلامه يقتضى انه يجعل الـكل المطلق موجودا فى العين على القول الضعيف واذا تنزلنامعه على هذا التقدير يكون الرب تعالى عندهم جزأ من كل موجود مخلوق فهم بين ان يجعلوه جملة المخلوقات أو جزأ من كل مخلوق أوصفة لـكل مخلوق أو يجعلونه عدما محضا لا وجود له الا في الاذهان لا فى الاعيان* ثم هم مع التعطيل الصريح والافك القبيح يتناقضون ولا يثبتون على مقام ولهذا رأيت كلامهم مضطربا لا ينضبط لما فيه من التناقض ولـكن لما كنت أبينه وأوضحه أذكر القواعدالعلمية التي يعرف الناس حقيقة ما يمكن حمـل كلامهم عليه وميزت بين قول هذا وقول هـذا وبينت مافيه من التناقض حتى اطلع الناس على ماهم فيه من الـكفر والهذيان مع دعواهم التحقيق والعرفان وتعظيم الناس لهم وهيبتهم لهم وظنهم أنهم من كبار أوليـاء الله العـارفين وسادات المحققين وانمـا هم بالنسبة الى هؤلاء كالمنتسبين الى الأئمة الصادقين ﴿فان ابن سبعين ﴾وذويه لا وصف له عندهم بسوى الثبوت بناء على أصلهم الفاسد وهو ان الوجود من حيث هو وجود مع قطع النظر عن الموجود الواجب والممكن هو ثابت وقد خاطبني في ذلك أفضل هؤلاء فقلت له الوجود من حيث هو وجود لا حقيقة له فى الخارج وانما هو أمر يقدره العقل كالانسان من حيث هو انسان والحيوان من حيث هو حيوان والجسم من حيث هوجسم وأمثال ذلك فان الخارج لايوجد فيه شئ الا معينا متمـيزا عما سواه لا يوجدفيه حقيقة من الحقائق من حيث هي هى مجردة عن كل تعين وتميز وهذا الموضع الذى هو أصل ضلال هؤلاء قد سبقهم اليه طوائف من أهل الفلسفة والـكلام وهؤلاء حذوا حذوهم وزادوا عليهم فظن أولئك ان المطلق يكون موجودا فى الخارج ثابتا فى الاعيان المقيدة الخاصة وهو الذي يسمونه الـكلي الطبيعي ويجعلونه موجودا في الخارج كالانسان بلا قيد ولا شرط والحيوان بلا قيد ولا شرط والوجود بلاقيد ولا شرط ولا ريب ان الفرق بين المطلق لا بشرط وبين المطلق بشرط الاطلاق فرق معقول فان المطلق بشرط الاطلاق ضد المقيد لا يتناول المقيد بحال ولهذا اتفقوا على ان هذا لا يكون

وجوده الا في الذهن وأما المطلق لا بشرط فهم يسلمون أيضا انه لا يوجد الا معينامقيدا إما بقيد كونه فى الذهن أو فى الخارج وبقيد كونه واحدا أو كثيرا ونحو ذلك ولكن كثيرا من أئمتهم يدعون انه يوجد فى الأعيان كما اتفق الناس على انه يوجد فى الاذهان مع ان حقيقته من حيث هي هى ليست مقيدة بقيد كونها فى الاذهان أو في الاعيان مع انها لن تخلو عن أحدهما ففرق بين ماهو داخل فى الحقيقة وبين ماهو لازم لها كما ان من هؤلاء من ادعى ثبوت هذه الحقائق مجردة عن الاعيان كما يقوله أصحاب المثل الافلاطونية وقولهم باثبات هذه الماهيات المطلقة مع قول فريق منهم بانفصالها عن الاعيان هو شبيه بقولهم باثبات المادة الطبيعية جوهرا مجردا ثابتا فى الجسم عن صورته مع قول فريق منهم بامكان انفصال هذه المادة عن الصور جميعها(وقد بسطنا القول) فيهذا وذكرنا الفاظ أئمتهم فى هذا وبينا ما وقع في ذلك من الغلط البين المبين لكل عاقل يفهم ما يقال بيانا يقينيا ضروريا وذكرنا الصواب الذى عليه جمهور العقلاء بأنه ليس في الاعيان الموجودة فى الخارج شئ مطلق أصلا بحال وانه انما هو عين من الاعيان أشير اليها فقيل هذا الانسان فانه يعلم بالحس والعقل انه ليس فيه شئ مشترك بينه وبين غيره ولا شيء مطلق سواء قيل مطلق لابشرط أومطلق بشرط الاطلاق وتكلمنا على ما يذكرونه من هذه الموارد واللواحق والاعراض حواشى غريبة عرضت للحقيقة وانها خرجت عن الحقيقة (وبسطنا الكلام) فى ذلك بسطاً تبين به أنه اشتبه على القوم ما يكون فى الذهن والخيال بما يكون فى الوجود والخارج فظنوا ما يتخيلونه فى أنفسهم من هذه الحقائق كالموجود المطلق والانسان المطلق موجودا فى الخارج فهم الى الوهم والخيال الذى ليس بمطابق للحقائق مع كونهم قد ينكرون ما كان من الوهم والخيال حقا مطابقا للخارج . كما قد بسطنا ذلك فى غير هذا الموضع وقول هؤلاء باثبات الماهيات المطلقة المجردة وبالمواد المجردة واثباتهما فى الأعيان هو شبيه بقول من يثبت الأحوال ثابتة فى الاعيان وقول من يجعل لكل معين من الموجودات ماهية ثابتة في العدم ويجعل الماهيات غير مجمولة. وهؤلاء يقولون وجود كل شئ زائد على ماهيته ولكن نريد بالماهية الماهية الشخصية التى لا تكون لغيره كما يقوله من يقوله من المعتزلة والرافضة وأولئك يقولون بنحو ذلك لكن يقولون باثبات الماهية النوعية الكلية وكل هذه الامور انما هى ثابتة في الاذهان لافي الاعيان وان كان بعضهم ينكر على غيره أشد الانكار

قوله الذي قال ماهو نظيره أو أبلغ منه أو هو هو في الحقيقة كما ينكر طائفة من متكلمي الصفاتية القائلين بالاحوال كالقاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى على من يقول المعدوم شيء حتى يكفروه بذلك وقولهم باثبات الأحوال هو من نمط قولهم حيث يقرون باثبات ثابت لا موجود ولا معدوم وكما تنكر الفلاسفة على من يقول بالاحوال وبأن المعدوم شيء فقولهم باثبات الماهيات المطلقة في الأعيان مع قولهم باثبات المواد للجسم وتركب الجسم من جوهرين مادة وصورة هو مع كونه من نمط هذا القول فهو ان لم يكن أبعد منه فليس دونه في الضعف اذ جعله حقيقة مطلقة لا تتقيد ثابتة في شيء مقيد وحاصلة له مع ان تلك تنقسم الى واحد وكثير وهذا لا ينقسم ان هذا من العجب فهل يجعل مورد التقسيم جزأ من القسمين ثابتا في الاعيان وهل هذا الا تسوية بين قسمة الكلي الى جزئياته والكلي الى أجزائه مع انهم يفرقون بينهما وغاية ما قد يجيبون به عن هذا ان يقولوا المطلق من حيث هو لا يوصف لا بنفي ولا باثبات فلا يقال هو واحد ولا كثير ولا ينقسم ولا لا ينقسم ونحو ذلك مع أن محققيهم كابن سينا يقول انه لا يوجد الا موجودا في الاعيان أو في الذهن وعلى هذا فيكون الوجود المطلق لا يوجد الا في الاعيان الموجودة فلو كان وجود الرب هو المطلق لازم أن يكون جزء من أعيان المخلوقات مع انه يلزمهم أن يكون ثابتا في الوجود الواجب والوجود الممكن فلا يكون هو واجب الوجود وهذا تناقض كما قد بسطناه في غير هذا الموضع ﴿ ومعلوم أن هذا الجواب ﴾ لم يقصد فيه بيان هذه المسائل تصويرا وتحريرا وتقريرا وإنما نبهنا على النكت التي ضل بها هؤلاء الذين يدعون أنهم أفضل العالم وأكمل الناس وهم في الحقيقة يندرجون في قوله تعالى (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وفي قوله تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وكذلك قال بعد ذلك وهو الوجود في كل موجود وهو مع كل شيء وقد بينا ان هذا الكلام يشبه قول من يجعل الوجود زائدا على الماهية وهو يشبه قول بن عربي من هذا الوجه لكن قول ابن عربي يشبه قول المعتزلة والرافضة القائلين بأن المعدوم المشخص شيء وهذا يشبه قول المتفلسفة الذين يقولون ان الماهيات الكلية

المطلقة ثابتة في الأعيان وما تقدم في ذلك اللوح يخالف قول ابن عربي كما تقدم وهو في هذا اللوح جعله بمنزلة الصورة ووجود الماهية وهناك جعله بمنزلة المادة للصورة ولهذا قال وهو مع كل شيء ومتى سري لذلك الشيء حكم فمنه لا من ذلك الشيء للشيء ليس هو إياه ثم قال فله في ذلك الحكم إيجاده وللشيء منه الشبه فقط لأنه في الماء ماء وفي النار نار وفي الحلو حلو وفي المر مر فجعله وجود الذوات ومعلوم ان من قال الماهيات الكلية ثابتة في الاعيان أو من قال ان وجود كل شيء زائد على ماهيته يقول ان الماهية المطلقة المعينة والماهية المشخصة منه وجودها ولهذا قال فهو في الماء ماء وفي النار نار وهذا من جنس قول ابن عربي وهو متضمن أصلين فاسدين * أحدهما ان في الماء والنار والحلو والمر حقيقتين احداهما وجودهما والثاني ذاتهما المغايرة لوجودهما سواء قيل هي ماهية معينة أو مطلقة وهذا وان كان باطلا فهو قول مشهور لطوائف من المعتزلة والرافضة وطوائف من الفلاسفة * والثاني أن الله هو ماء في الماء وهو نار في النار وهو حلو في الحلو ومر في المر اذ هو عنده نفس وجود الموجودات وهذا من أبطل الباطل وأعظم الكفر والضلال ثم ضرب لذلك مثلا فاسدا فقال مثال ذلك هو مع السراج نور بصورته فتسرج منه سرج كثيرة شبيهة به والايجاد لمن هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولو كانت السرج التي أوقدت من السراج من ماهيته هو لفنيت مادته بايقاد جملة من السرج وكان يظهر فيه الضعف قليلا قليلا حتي يفنى وانما الاستمداد من الأمر الذي هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولا صورة له إذ لو قيدته صورة ما لم يكن مع كل شيء الا معها فقط تعالى وتقدس فهو الوجود كله ولا وجود لشيء به الا لعلمه به فذكر أن الايقاد من وجود السراج لا من ماهيته وانما هو وجود السراج وهو مع الماهية بصورة الماهية والفرق بين وجود السراج وماهيته باطل وأما قوله لو كانت تلك السرج من ماهيته لفنيت فيقال له وكذلك لو كانت من وجوده لو قدر هناك وجود غير ماهيته فكيف وليس هناك شيء الا السراج المحسوس وهو حقيقة السراج وذاته وماهيته في الخارج وما الفرق بين الايقاد من ماهيته ومن وجوده ان قدرناهما شيئين فان قال لأن وجوده هو الواجب قيل له فهذه الدعوى لاتكون هي الدليل وأنت ذكرت هذا دليلا على ان الاستمداد من وجود مقارن للماهية بصورتها ثم يقال اذا قيل أوقدت هذه السرج من هذا السراج فمن إما أن تكون للتبعيض وإما أن تكون لابتداء الغاية * والاول باطل فان السراج لم يزل فيه شيء أصلا ولا تبعض ولا نقص

من ذاته شيء أصلا ولو كانت للتبعيض للزم أن يزول بعض الوجود والماهية ان قيل بالفرق بينهما وأما الثاني اذا قيل هى لابتداء الغاية فهذا لا محذور فيه سواء قيل ان الايقاد من ماهية السراج أو من وجوده أو منهما ان فرق بينهما أو قيل انما هنالك شيء واحد والايقاد منه كما هو قول أهل الحق وذلك ان ذبالة المصباح بتقريبها الى السراج ومجاورتها له يحدث الله فيها ذلك النور من غير أن ينقص من ذلك النور الاول شيء ولهذا يشبهون العلم بهذا فيقولون كل أحد يستفيد من علم العالم من غير أن ينقص منه شيء بل المتعلم يجعل الله في نفسه نظير ما في نفس المعلم من غير أن ينقص ما فى نفس المعلم وكذلك يجعل الله في رأس الذبالة من النور من جنس ما فى الذبالة الأولى وتكبر وتصغر وتقوى وتضعف بحسب ذلك وسواء كان هذا هو الهواء المحيط استحال نارا كما قد تستحيل النار هواء أو غير ذلك فليس هو شيء نقص من الاول فبطل تمثيله هذا وهو يزعم الفلسفة والمتفلسفة تعلم ذلك وتقول ان الهواء استحال نارا ومن هنا نظير من فى قوله تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما في الأرض جميعا منه) وقوله (وما بكم من نعمة فمن الله) وقوله (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وقوله إنما الاستمداد من الأمر الذى مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولا صورة فهو يقتضى ثبوت شيئين وجود وشيء والحق ان الاستمداد انه ليس هناك الا شيء واحد وبكل حال فالاستمداد من خالق ذلك الشيء وربه ومليكه الذي ليس هو اياه بوجه من الوجوه بل هو ربه وخالقه ومليكه وليس الله مع كل شيء بصورة ذلك الشيء أصلا تعالى الله عن ذلك ومن العجب ان هؤلاء يفرون بزعمهم من التشبيه والتجسيم وقد صنف ابن سبعين في ذلك ورد فيه على بعض من كان ينكر عليه من شيوخ أهل مكة ثم باشياء له الى غير ذلك ثم يزعمون انه يشبه كل شيء بصورته وانه جزء من كل جسم فلم يجعلوه جسما تاما بل جزء جسم كما قد يجعلونه في موضع آخر وجود كل جسم وان لم يكن للجسم الجزء الذي أثبتوه وجعلوه شبيها للجماد والحيوان والنبات بل هو عين وجود الجماد والحيوان والنبات ثم قال فهو الوجود كله ولا وجود لشيء معه الا لعلمه به أنت علمه فأنت به ثابت من حيثية تغايره وعلمه اياه وهو التعيين به هو موجود من حيثية ان علمه عين ذاته وهي أن لا تعيين وأنت العين من حيث أنت صورة في العلم لا من حيث اطلاق العلم ﴿ فهذا يتضمن ﴾ ان الاشياء التى جعلها موجودة

ووجودها عين الحق هي علم الحق وليس هذا قول أهل السنة الذين يقولون ان الاشياء ثابتة في علم الله قبل وجودها ليست ثابتة في الخارج فان هؤلاء لا يقولون ان الاشياء الموجودة عين علمه ولا يقولون ان الاشياء المحسوسة بعد وجودها هي كما كانت في العلم بل يقولون ان الله علمها وقدرها قبل أن تكون والمخلوق قد يعلم أشياء قبل أن تكون كما نعلم نحن ماوصف لنا من اشراط الساعة وصفة القيامة وغير ذلك قبل أن يكون ومن المعلوم أن علمنا بذلك ليس هو من جنس الحقيقة الموجودة في الخارج فانا اذا علمنا الماء والنار لم يكن في قلوبنا ماء ونار ولكن علمه بذلك يطابقه مطابقة العلم المعلوم ثم اللفظ يطابق العلم مطابقة اللفظ المعنى ثم الخط يطابق اللفظ وهذه المراتب الاربعة المشهودة هى الوجود العيني والعلمي واللفظي والرسمي وجود في الاعيان وفي الاذهان وفي اللسان وفى البنان وقد تشبه هذه المطابقة مطابقة الصورة التى فى المرآة للوجه ومطابقة النقش الذى في الشمعة والطين لنقش الخاتم الذى يطبع ذلك له وليس هو أيضا قول من يقول ان المعدوم شئ ثابت فى الخارج مستغن عن الله فانه قد قال وأنت لا به لا شئ وهذا يخالف فيه ابن عربي والصواب معه فيه وان كان أضل من وجه آخر بل قوله لون آخر فانه جعل علمه بالاشياء عين الاشياء اذ جعل لا وجود معه الا لعلمه بذلك الشئ وجعل نفس الاشياء علمه ولهذا أثبت التغاير من وجه وعدمه من وجه وقال فانت به ثابت من حيثية متغايرة ومن حيثية أن علمه عين ذاته وهذا الثاني يشبه قول الفلاسفة الذين يقولون انه عاقل ومعقول وعقل وان ذلك واحد ويقال ان أبا الهذيل العلاف يقرب الى مذهبهم وفساد هذا القول معلوم قد بسط فى غير هذا الموضع لكن هو لما ألزمه ان يكون وجود الاشياء غير ما هيتها وهو عندهم عين وجود الاشياء ولا بد من اثبات مغايرة الاشياء واستقبح أن يجعل الاشياء ثابتة فى الاعيان جعلها عين علمه فوقع فى شر مما فر منه حيث جعل نفس الاشياء الثابتة فى الخارج عين علمه وهذا من جنس قوله إنه عين وجود الاشياء وهو فى الحقيقة تعطيل لنفسه ولعلمه اذ جعل وجوده وجود الاشياء وعلمه هو الاشياء ثم يقول ان علمه عين ذاته فهذه ثلاثة عظائم ثم قال فان عرفته فى كل شئ عين كل شئ الا الصورة المعينة لم تجهله في صورة أصلا ولم تكن فيمن يتجلى له فى غير الصورة التى يعرفها وسيعود منه حتى يتجلى له فى الصورة التى يعرفها فيتبعه وهذا وان كان من السعداء فهو بعيد من أهل العلم بالله جدا

وأي معرفة لمن يعرفون المطلق مقيدا بصورة مّا فهذا الى الجهل أقرب منه الى العلم غير ان بركة الايمان وسعادته شملته فتنعم في الجنة من وراء غيب الايمان ويشفع له النبي صلى الله عليه وسلم الذى صدقه فرفعت له الحجب وقتاً ما فتنعم بالمشاهدة حسب حاله وعلى قدر نصيبه من رسوخه في الايمان وأخذه بنصيبه من مقام الاحسان فاذا هو كأنه يراه لا أنه يراه وأين هذا المقام من مقام من رآه مذ عرفه في كل شيء عين كل شيء سوى تقييد الشيء وتعيينه بانه هذا . لا يجوز اليه الاشارة لانه لم تقيده صورة قط فمن عرفه كما قلناه ورآه في كل شيء لم ينسه قط ولم ينسحب عليه من عتاب الآية شيء وهي قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) حاشاهم من ذلك بل ذكروه دائما بذكرهم ورأوه في كل شيء مشاهدهم لذلك وشهدلهم بالكمال ﴿قلت﴾ وهذا الكلام الذي ذكره من تجليه تارة في غير الصورة التي يعرفها المتجلي له حتى يتعوذ منه وما ذكره من ان هذه الحال ناقصة أخذه من كلام ابن عربى وابن عربي يحتج في ذلك بالحديث المأثور في ذلك فان ابن عربى كان أعلم بالحديث والتصوف من هذا وان كان كلاهما من أبعد الناس عن معرفة الحديث والتصوف المشروع بل هما أقل الناس معرفة بالكتاب والسنة وآثار سلف الامة (وابن سبعين) أعلم بالفسلفة من ابن عربى * وأما الكلام فكلاهما يأخذه من مشكاة واحدة من مشكاة صاحب الارشاد واتباعه كالرازي فان ابن عربى ذكر في أول الفتوحات المكية عقائد ورمز الى الرابعة وذكر العقيدة التي في كلام صاحب الارشاد مجردة ثم ذكرها مع الدليل الكلامى الذي ذكره ثم انتقل الى عقيدة فلسفية أبعد من اعتقاد أهل الاثبات ثم رمز الى هذا التوحيد الذي أفصح به في الفصوص وعاد قولهم الى تحقيق التعطيل الذى هو حقيقة قول فرعون وكان نقلهم لكلام المتكلمة والمتفلسفة من كلام الرازى في المحصل وغيره وهو يذكر أن ذلك حصل له بالكشف حتى كان القاضي بهاء الدين ابن الزكي يذكر انه كان يقع بينه وبين والده منازعة في كلامه اذ كان والده من الغلاة فيه المعظمين لامره حتي حدثني محي الدين بن المصرى وكان من أخص أصحابه انه قال في معرض كلام له أفضل الخلق عندي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة والحسن والحسين ومحي الدين بن عربي وكان يقول ان كلامه حصل له على طريق الكشوف قال فوجدت نسخة من المحصل بخطه رخيصة جدا فجئت بها الى والدى وقلت نسخ المحصل بيده فلولا شدة رغبته في معرفة كلام هذا الرجل لما كان كتبها بخطه أو كلاما نحو هذا

(وأما ابن سبعين) فأصل مادته من كلام صاحب الارشاد وان أظهر تنقصه ونحوه من الكلام ومن كلام ابن رشد الحفيد ويبالغ في تعظيم ابن الصائغ الشهير بابن باجة وذويه في الفلسفة وسلك طريقة الشودية في التحقيق وأخذ من كلام ابن عربي وسلك طريقا في تحقيقهم مغايرة لطريق غيره وان كان مشاركا لهم في الاكثر وهما وأمثالهما يستمدان كثيرا مما سلكه أبو حامد في التصوف المخلوط بالفلسفة ولعل هذا من أقوى الاسباب في سلوكهم هذا الطريق * وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في الارشاد والشامل ونحوهما مضموما الى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني مذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ونحو ذلك وضم الى ذلك ما أخذه من كلام أبي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه * وأما في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي أبي بكر * وشيخه في أصول الفقه يميل الى مذهب الشافعي وطريقة الفقهاء التي هي أصوب من طريقة الواقفة (ومادة أبي حامد) في الفلسفة من كلام ابن سينا ولهذا يقال أبو حامد أمرضه الشفاء ومن كلام أصحاب رسائل الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك * وأما في التصوف وهو أجل علومه وبه نبل فأكثر مادته من كلام الشيخ أبي طالب المكي الذي يذكره في المنجيات في الصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والاخلاص فان عامته مأخوذة من كلام أبي طالب لكن كان أبو طالب أشد وأعلى * وما يذكره في ربع المهلكات فأخذ غالبه من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية كالذي يذكره في ذم الحسد والعجب والفخر والرياء والكبر ونحو ذلك * وأما شيخه أبو المعالي فمادته الكلامية أكثر من كلام القاضي أبي بكر ونحوه واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي على مختارات له وكان قد فسر الكلام على أبي قاسم الاسكاف عن أبي اسحاق الاسفرائيني ولكن القاضي هو عندهم أولى ولقد خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع الى طريقة المعتزلة * وأما كلام أبي الحسن نفسه فلم يكن يستمد منه وانما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس * والرازي مادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني فان الشهرستاني أخذه عن الانصاري النيسابوري عن أبي المعالي وله مادة قوية من كلام أبي الحسن الصوري وسلك طريقته في أصول الفقه كثيرا وهي أقرب الى طريقة الفقهاء من طريقة الواقفة * وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني أيضا ونحوهما * وأما التصوف فكان فيه ضعيفا كما كان ضعيفا في الفقه ولهذا يوجد

في كلام هذا وأبي حامد ونحوهما من الفلسفة مالا يوجد في كلام أبي المعالي وذويه ويوجد في كلام هـذا وأبى المعالى وأبي حامد من مذهب النفـاة المعتزلة مالا يوجد في كلام أبى الحسن الاشعرى وقدماء اصحابه ويوجد في كلام أبي الحسن من النفى الذى اخذه من المعتزلة مالا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذى اخذه أبو الحسن طريقه ويوجد في ابن كلاب من النفى الذى قارب فيه المعتزلة مالا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والائمة واذا كان الغلط شبرا صار في الاتباع ذراعا ثم باعا حتى آل هذا المآل فالسعيد من لزم السنة

﴿ فصـل ﴾ ومن تدبر الحديث والفـاظه علم أنه حجة على هؤلاء الاتحادية الجهمية لالهم وأنه مبطل لمذهبهم مع أنهم يجعلونه عمدتهم في دعواهم ظهوره في كل صورة من الصور المشهودة في الدنيا والآخرة حتى في الجمادات والقاذورات (والحديث) مستفيض بل متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل فيـه قواعد من أمور الايمان بالله وباليوم الآخر * أخرجاه في الصحيحين من غـير وجه من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب وعطاء بن زيد عن أبي هريرة وأبي سعيد * وأخرجاه أيضا من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد * ورواه مسلم عن جابر موقوفا كالمرفوع وهو معروف من حديث ابن مسعود وغيره ففي الصحيحين من حـديث أبي هريرة إن اناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليـه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البـدر قالوا لا يارسول الله قال هـل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة . فيقول من كان يعبـد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الله الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قـدر عظمها الا الله تخطف

الناس بأعمالهم فنهم الموثق بعمله ومنهم المخردل أو المحاذي حتى ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئا ممن أراد أن يرحمه ممن كان يقول لا إله الا الله فيعرفونهم فى النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار ابن آدم الا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون وفي لفظ البخارى كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الى الجنة فيقول أي رب اصرف وجهى عن النار فانه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها يدعو الله ماشاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت ان فعلت ذلك بك أن تسألني غيره فيقول لا يارب لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ماشاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب قدمني الى باب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذى أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أى رب ويدعو الله حتي يقول له فهل عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطى ربه ماشاء من عهود ومواثيق فيقدمه الى باب الجنة فاذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ماشاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب أدخلني الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتي يضحك الله تبارك وتعالى منه فاذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فاذا دخلها قال الله له تمنه فيسأل ربه ويتمنى حتى ان الله ليذكره من كذا ومن كذا حتى اذا انقطعت به الامانى قال الله ذلك لك ومثله معه * قال عطاء بن زيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى اذا حدث أبو هريرة ان الله قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ماحفظت الا قوله ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد أشهد أنى حفظت من رسول الله صلي الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة وهذا الحديث من أصح حديث على وجه الأرض معروف من حديث ابن شهاب الزهرى أحفظ الامة للسنة

في زمانه كان عنده عن سعيد بن المسيب أفضل التابعين وعن عطاء بن يزيد الليثى عن أبي هريرة فكان تارة يحدث به عنهما وتارة عن أحدهما كما هو عادة الزهرى في أحاديث كثيرة وهذا الذى ذكرنا رواية ابراهيم بن سعيد عنه عن عطاء بن يزيد ومنه رواه مسلم كما ذكر وعطف عليه رواية شعيب عنه عن سعيد بن المسيب وعطاء قال وساق الحديث بمثل معنى حديث ابراهيم وأما البخارى فرواه من حديث شعيب عن الزهرى عنهما مرتين ورواه من حديث ابراهيم ابن سعيد أيضا الذي ساقه له مسلم ورواه من حديث معمر أيضا عن الزهري عن عطاء *وفى الصحيحين أيضا من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدري أن ناسا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل نري ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب قالوا لا يارسول الله قال وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقي أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدا فماذا تبغون قالوا عطشنا يارب فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح بن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدني صورة من التى رأوه فيها قال ما تنتظرون فتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة

واحدة كلما أراد أن يسجد خر علي قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر علي جهنم وتحل الشفاعة ويقول اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال رحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركبان فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده مامن أحد منكم بأشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف دينار فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فاخرجوا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم (ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج قوما لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر مايكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل فيكون أبيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعي بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله تعالي الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولاخير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فمارأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحداً من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ياربنا أى شئ أفضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهذا سياق مسلم من حديث حفص بن ميسرة عن زيد ابن أسلم ثم اتبعه برواية الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن

أسلم قال نحو حديث حفص بن ميسرة وزاد بعد قوله بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم مارأيتم ومثله معه قال أبو سعيد بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف وليس في حديث الليث فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحداً من العالمين ثم رواه من حديث هشام بن سعد قال حدثنا زيد بن أسلم نحو حديث حفص وزاد ونقص شيئا * وأخرجه البخاري من حديث زيد أيضا وفي صحيح مسلم من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يسأل عن الورود فقال نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا قلت صوابه على تل كما جاء مفسرا أظن ان ذلك فوق الناس قال فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الاول فالاول ثم يأتي ربنا بعد ذلك فيقول ما تنتظرون فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر اليك فيتجلى لهم يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل انسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب أو حسك تأخذ من شاء الله ثم يطفىء نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا إله الا الله وكان في قلبه من الخير مايزن شعيرة فيجعلونه بفناء الجنة ويجعلون أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل وتذهب حراقة ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها (فهذه الأحاديث ونحوها) اعتمدها هؤلاء الجهمية الاتحادية في قولهم ان الله يظهر في الصور كلها ويجعلونه ظاهرا في كل صورة من حيوان ونبات ومعدن وغير ذلك اذ هو الوجود كله عندهم وعندهم ان ذاته لا ترى بحال كما قال صاحب الفصوص في الحكمة اليأسية قال العقل اذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله على التنزيه لا على التشبيه واذا أعطاه الله المعرفة بالتجلي كملت معرفته بالله فنزه في موضع وشبه في موضع فرآه سريان الحق الصور الطبيعة العنصرية وما بقيت له صورة الا ويرى عين الحق عينها وهذه المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله وحكمت بهذه المعرفة الاوهام كلها ولذلك الاوهام أقوي سلطانا مما في هذه النشأة من العقول لأن العاقل لو بلغ ما بلغ في عقله لم يخل عن حكم الوهم عليه والتصور فيما عقل فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الانسانية وبها جاءت الشرائع المنزلة فشبهت ونزهت شبهت في التنزيه بالوهم ونزهت في التشبيه

بالعقل فارتبط الكل بالكل فلم يتمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه ولا تشبيه عن تنزيه قال تعالى (ليس كمثله شئ) فنزه (وهو السميع البصير) فشبه وهي أعظم آية أنزلت في التنزيه ومع ذلك لم تخل عن تشبيه بالمكان وهو أعلم العلماء بنفسه وما عبر عن نفسه الا بما ذكرناه ثم قال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) ومايصفونه الا بما تعطيه عقولهم فنزه نفسه عن تنزيههم إذ حددوه بذلك التنزيه وذلك لقصور العقول عن ادراك مثل هذا ثم جاءت الشرائع كلها بما تحكم به الاوهام فلم يخل الحق عن صفة يظهر فيها كذا قالت وبذا جاءت الرسل فعملت الامم على ذلك فأعطاها الحق التجلي فلحقت بالرسل وراثة فنطقت بما نطقت به رسل الله وبعد أن تتصور هذا فترخى الستور وتدلى الحجاب على عين المنتقد والمعتقد والصور وان كانت من بعض صور ما تجلى فيها الحق ولكن قد أمرنا بالستر ليظهر تفاضل استعداد الصور وان المتجلي في صور بحكم استعداد تلك الصورة فينسب اليه ماتعطيه حقيقتها ولوازمها لا بد من ذلك الي أن قال قال الله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) اذ لا يكون مجيبا الا اذا كان من يدعوه وان كان عين الداعي عين المجيب فلا خلاف في اختلاف الصور فهما صورتان بلامثل وتلك الصور كلها كالأعضاء لزيد فمعلوم أن زيدا حقيقة واحدة مشخصة وأن يده ليست صورة رجله ولا رأسه ولا عينه ولا حاجبه فهذا تكثير الواحد المكثر بالصور الواحد بالعين وكالانسان واحد بالعين فلا شك أن عمرا ماهو زيد ولا خالد ولا جعفر وأن أشخاص هذه العين الواحدة لا تتناهى وجودا فهو وان كان واحدا بالعين فهو كثير بالصورة والاشخاص وقد علمت قطعا ان كنت مؤمنا ان الحق عينه يتجلى في القيامة في صورة فيعرف ثم يتحول في صورة فينكر ثم يتحول عنها في صورة فيعرف وهو هو المتجلى وليس غيره في كل صورة ومعلوم ان هذه الصورة ما هي تلك الصورة الاخرى وان كانت العين واحدة فانت مقام المرآة فاذا نظر الناظر فيها الى صورة معتقد في الله عرفه فأقر به واذا اتفق أن يرى فيها معتقد غيره أنكره كما يرى في المرآة صورة نفسه وصورة غيره فالمرآة عين واحدة والصور كثيرة في عين الرائي * وهذا الحديث يبين فساد مذهبهم بضد ما توهموه من وجوه * أحدها ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يرون ربهم يوم القيامة ولم يسألوه عن رؤيته في الدنيا فان هذا كان معلوما عندهم انهم لا يرونه في الدنيا وقد أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه منها ما رواه

مسلم في صحيحه من حديث يونس وصالح عن ابن شهاب ان سالم بن عبد الله أخبره ان عبد الله بن عمر أخبره ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد أتشهد اني رسول الله فنظر اليه ابن صياد فقال أشهد انك رسول الاميين فقال ابن صياد لرسول الله أتشهد اني رسول الله فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آمنت بالله وبرسله ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تري فقال ابن صياد يأتيني صادق وكاذب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر ثم قال له رسول الله صلى الله وسلم اني قد خبأت لك خبأ فقال ابن صياد هو الدخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذرني يارسول الله أضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله وقال سالم بن عبد الله سمعت عبد الله بن عمر يقول انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بن كعب الى النخل التي فيها ابن صياد حتى اذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عايه وسلم وهو يتقى بجذوع النخل فقالت لابن صياد ياصاف وهو اسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته بين قال سالم قال عبد الله بن عمر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه مامن نبي الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول لكم قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه أعور وأن الله ليس باعور قال ابن شهاب وأخبرني عمر بن ثابت الانصارى انه أخبره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذر الناس الدجال انه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن وقال تعلمون انه لن يرى أحدمنكم ربه حتى يموت وقد روى هذا المعنى من وجوه أخر عن النبي صلي الله عليه وسلم ففرق النبي

صلى الله عليه وسلم بين ماقبل الموت ومابعده وأخبرانه لن يراه أحد قبل الممات في سياق بيانه لهم أن الدجال ليس هو الله كاذكر لهم انه أعور وان ربهم ليس باعور وذكر لهم مع ذلك انهم لا يرون ربهم في الدنيا ليعلموا ان كل مايرى في الدنيا ليس هو الله وهذا يدفع قول بعض الجهال المتقرمطة من هؤلاء انه لن يري ربه حتى يموت أي تموت نفسه وهواه فان هذا وان لم يكن هو مدلول اللفظ ولا يحتمله مثل هذا اللفظ فلو كان حقالم يصح ان يكون دليلا لهم على ان الدجال ليس هو ربهم فانه اذا جوزعند موت هوى النفس ان يرى بعينه الله لم يصح حينئذ ان ينفي عن كل مرئي بالعين في الدنيا انه الله * واعلم ان الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وأهل السنة من جميع الطوائف متفقون على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة عيانا كما يرون الشمس والقمر كما تواترت بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومتفقون على أنه لا يراه أحد بعينه في الدنيا كما ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن حنبل عن اسحاق بن حنبل قال سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول ان الله لا يري في الدنيا ويرى في الآخرة ثبت في القرآن والسنة وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وأما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وتنازع عائشة وابن عباس فقد بسطنا الكلام فيه في غيرهذا الموضع (وبينا ان الثابت) عن ابن عباس ثم عن الامام احمد هو شيء واحد وهو إما اطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وأما التقييد بانه رآه بعينه فلم يثبت لا عن ابن عباس ولا عن أحمد بن حنبل ونحوهما (وأما) الاحاديث التى يرويها بعض الناس في أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بالطواف أوبعرفة أوفي بعض سكك المدينة فكلها كذب موضوعة باتفاق أهل العلم * وتنازع المتأخرون المنتسبون الى السنة في الكفار هل يحجبون عنه في الآخرة مطلقا أويرونه ثم يحجبون على ثلاثة أقوال * فقال طوائف من أهل الكلام والفقه وغيرهم من أصحاب مالك لا يرونه بحال * وقالت طائفة منهم أبو الحسن بن سالم وغيره بل يرونه ثم يحجب عنهم كما يدل على ذلك أحاديث معروفة * وقال أبو بكر بن خزيمة بل يراه المنافقون من هذه الامة دون غيرهم * وقد بسطنا الكلام على ذلك في غيرهذا الموضع * وأما من سوى أهل السنة فلهم قولان متطرفان * أحدهما وهو قول الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة والمتفلسفة وغيرهم أنه لا يرى بحال بل رؤيته ممتنعة عندهم * والثاني قول بعض المتكلمين وبعض جهال الصوفية أنه يرى في الدنيا وقد ذكر ذلك أبو طالب المكي عن بعض الصوفية ورد عليه

وكذلك حكاه الاشعرى فى المقالات عن طائفة منهم ومن الناس من يجعل للاشعرى نفسه فى هذه المسألة قولين وبعض أصحابه جوز وقوع ذلك وليس النزاع فى امكان ذلك وقدرة الله عليه فان هذا لانزاع فيه بين مثبتى الرؤية وانما النزاع هل يقع ذلك فى الدنيا فمن أصحابه من يسوغ وقوعه بحسب ماتدعو اليه الدواعى وقد يحصل ذلك لبعض الناس وهذا باطل مخالف للنصوص ولاجماع السلف والائمة بل نفاة الرؤية مع كونهم مبطلين أجل من هؤلاء وهؤلاء أقرب الى الشرك منهم (وأما) هؤلاء الاتحادية فهم يجمعون بين النفى العام والاثبات العام فعندهم أن ذاته لا يمكن أن ترى بحال وليس لها اسم ولاصفة ولانعت اذهو الوجود المطلق الذى لايتعين وهو من هذه الجهة لايرى ولا اسم له ويقولون انه يظهر فى الصور كلها وهذا عندهم هو الوجود الاسمى لا الذاتي ومن هذه الجهة فهو يرى في كل شئ ويتجلى فى كل موجود لكنه لايمكن أن تري نفسه بل تارة يقولون كما يقول ابن عربى تري الاشياء فيه وتارة يقولون يري هو في الاشياء وهو تجليه فى الصور وتارة يقولون كما يقول ابن سبعين عين ماتري ذات لا ترى وذات لاترى عين ماترى وهم جميعا يحتجون بالحديث وهم مضطربون لان ماجعلوه هو الذات عدم محض اذ المطلق لا وجود له فى الخارج مطلقا بلاريب فلم يبق الا ماسموه مظاهر ومجالى فيكون الخالق عين المخلوقات لاسواها وهم معترفون بالحيرة والتناقض مع ماهم فيه من التعطيل والجحود (وقد تقدم قول صاحب الفصوص) فى الفص الشيثى وان المتجلي له لايري الا صورته في مرآة الحق ولا رأي الحق ولا يمكن أن يراه مع علمه انه مارأي صورته الافيه كالمرآة فى الشاهد تري الصورة فيها وهى لاترى مع علمك انك ما رأيت الصورة الافيها وزعم انك اذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية فى حق المخلوق فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن تترقي فى أعلى من هذه الدرج فما هو ثم أصلا وهذا تصريح بامتناع الرؤية وهو حقيقة قولهم اذ هم من غلاة الجهمية ثم مع ذلك يجعلونه نفس الموجودات كما يقول صاحب الفصوص ومن أسمائه الحسنى العلي (على من) وما ثم الا هو (وعن ماذا) وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هى العلية لنفسها وليست الاهو وكذلك ابن سبعين يقول فعين ماتري ذات لاتري وذات لاترى عين ماتري (واعلم) ان طائفة ممن يثبت الرؤية من أصحاب الاشعرى بل وبعض المنتسبين الى الامام أحمد يفسرون الرؤية بنحو تفسير الجهمية

كالمريسي والمعتزلة فيقولون هي زيادة علم وانكشاف بحيث نعلم ضرورة ما كان يعلم نظرا وهؤلاء يجعلونها من جنس العلم وأرفع منهم من يجعلها مع تعلقها بالعين وكونها مشروطة بوجود المرئي من هذا النمط فيقول هي مجرد خلق ادراك في العين وانه لا حجاب الا المانع المضاد لها في محل الرؤية فاذا أزيل حصلت الرؤية كما أنه لا مانع من العلم الا الجهل المضاد له فاذا زال حصلت الرؤية (ولضرار وحفص الفرد والنجار) في نفس الرؤية أقوال قريبة من هذا ليس هذا موضعها وكل ذلك فرار مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الرؤية العيانية وهو صلى الله عليه وسلم قد أفصح بها غاية الافصاح وأوضحها غاية الايضاح وبين لهم أعظم رؤية يعرفونها وانه يرونه كذلك فزالت الشبهة (وقد ناظرت غير واحد) من هؤلاء من نفاة الرؤية ومحرفيها من شيعي ومعتزلي وغيرهما وذكرت لهم الشبهة التي تذكرها نفاة الرؤية (فقلت) هي كلها مبنية على مقدمتين* احداهما ان الرؤية تستلزم كذا وكذا كالمقابلة والتحيز وغيرهما* والثاني ان هذه اللوازم منتفية عن الله تعالى فكل ما يذكره هؤلاء فاحد الامرين فيه لازم اما أن لا يكون لازما بل يمكن الرؤية مع عدمه وهذا المسلك سلكه الاشعري وطوائف كالقاضي احيانا وابن عقيل وغيرهم لكن أكثر العقلاء يقولون ان من ذلك ماهو معلوم الفساد بالضرورة واما أن يكون لازما فلا يكون محالا فليس في العقل ولا في السمع ما يحيله بل اذا قدر انه لازم للرؤية فهو حق لان الرؤية حق قد علم ذلك بالاضطرار عن خير البرية أهل العلم بالاخبار النبوية وهؤلاء الاتحادية لما فهموا قول هؤلاء الذين لا حقيقة للرؤية عندهم الا زوال حجاب في الانسان كالآفة التي فيه المانعة من الرؤية قالوا انه يمكن زوال هذا الحجاب فتحصل المشاهدة وضموا ذلك الى بقية أصولهم الفاسدة من أنه ليس مباينا لعباده بل هو الوجود المطلق فقالوا يري في الظاهر وان كانت ذاته لا ترى بحال وهذا الكلام هو تعطيل للخالق ولرؤيته ودعوى الربوبية لكل أحد كما قال صاحب الفصوص ولما كان فرعون في منصب التحكم وانه الخليفة بالسيف وان جاز في العرف الناموسي لذلك قال أنا ربكم الأعلى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيهم ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له انما تقضي هذه الحياة الدنيا فاقض ما أنت قاض فالدولة لك فصح قوله أنا ربكم الاعلى وان كان عين الحق فاذا كان قد جعل فرعون صادقا في قوله أنا ربكم الاعلى وهو عنده عين الحق فالدجال أيضا أحق بهذا الصدق فانه يقول

للسماء أمطري فتمطر وللارض أنبتي فتنبت وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج الخربة كنوزها تتبعه ففي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رجعنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني أشبهه بعبدالعزي بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلوات يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلأ شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتي يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسي قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجات الجنة فبينما هم كذلك اذا أوحي الله الى عيسي أن قد أخرجت عبادا لى لايدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسي وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة ثم

يهبط نبي الله عيسي وأصحابه الى الأرض فلا يجدون موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكنّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة * وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب أخبرني عبدالله بن عبدالله بن عتبة ان أبا سعيد الخدري قال حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال يأتي وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه * وفي صحيح مسلم من حديث أبي الموالي (واسم أبي الموالي حبر بن نوف) عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه مشايخ الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد الى هذا الذي خرج قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول ما هو بربنا حقا فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن لا تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال أيها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر الدجال به فيشبح فيقول خذوه واشبحوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا فيقول أو ما تؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيوشر بالميشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما ثم يقول له أتؤمن بي فيقول ماازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول أيها الناس لا يفعل هذا بعدى بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاس فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذه بيديه

ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انما قذفه في النار وانما ألقى في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين * فاذا كان فرعون صادقا في قوله أنا ربكم الأعلى مع انه لم يأت بشبهة صادقة فالدجال أحق أن يكون صادقا على قول هؤلاء * ويكفيك بقوم ضلالا أن يكون فرعون والدجال صادقين على مذهبهم وهما أعظما عدو لله من الانس وأعظم الخلق فرية في دعوى الالهية ولهذا أنذرت الرسل جميعها بالدجال وأما فرعون فلم يذكر الله في القرآن قصة كافر عدوله أكثر وأكبر من قصته ومعلوم ان موسى وعيسى هما الرسولان الكريمان صاحبا التوراة والانجيل وموسى أرسل الى فرعون وعلى يديه كان هلاكه والدجال ينزل الله اليه عيسى بن مريم فيقتله فيقتل مسيح الهدي الذي قيل انه الله مسيح الضلالة الذي يزعم أنه الله ولما كانت دعواه الربوبية ممتنعة في نفسها لم يكن ما معه من الخوارق حجة لصدقه بل كانت محنة وفتنة يضل الله بها من يشاء ويهدى من يشاء كالعجل وغيره لكنه أعظم فتنة وفتنته لا تختص بالموجودين في زمانه بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشريعة المقرون بالخوارق فمن أقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد أصابه نوع من هذه الفتنة وهذا كثير في كل زمان ومكان لكن هذا اللعين فتنته أعظم الفتن فاذا عصم الله عبده منها سواء أدركه أو لم يدركه كان معصوما مما هو دون هذه الفتنة . فكثير يدعون أو يدعي لهم الالهية بنوع من الخوارق دون هذه . وآخرون يدعون الولاية أو المهدية أو ختم الولاية أو الرسالة أو المشيخة وقد رأيت من هؤلاء طوائف * وفي الصحيحين من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله * وفي الصحيح عن سماك عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدى الساعة كذابين قال سمعت أخي قال جابر فاحذروهم. وقد روى مسلم في أوائل الصحيح من وجهين عن مسلم بن يسار انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث مالم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم) وهذا كما يدخل فيه من يحدث عن غيره فالذى يقول انه يحدث عن قلبه عن ربه أو انه يأخذ عن الله بلا واسطة وانه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يوحي به الى الرسول وانه يحدث بمقتضى الأقيسة القطعية أولى فان هذا يدعى ما هو عنده أعلى وان

كان له نصيب من قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله) وقد سأل بعضهم مالـكا عن بعض ما كان بالعراق من هؤلاء المبطلين فقال كلمة أو كلاماً فيه هؤلاء الدجاجلة قال لم أسمع جمع دجاجلة الا من مالك وأصل الدجل التغطية والتمويه والتلبيس ﴿ومعلوم﴾ ان أتباع مسيلمة الـكذاب والأسود العنسى وطليحة الأسدى وسجاح كانوا مرتدين وقد قاتلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان مسيلمة انما ادعي المشاركة فى النبوة لم يدع ألوهية ولا أتى بقرآن يناقض التوحيد بل جاء بكلام يتضمن ما ادعاه من الشركة في الرسالة وأسجاع من الـكلام الذى لا فائدة فيه ولهـذا قال أبو بكر لبعض بني حنيفة وقـد استقرأهم شيئا من قرآن مسيلمة فلما قرؤه قال ويحكم أين يذهب بعقولـكم إن هذا كلام لم يخرج من إلّ وذلك نحو قوله ياضفدع بنت ضفدعين . تنقي كم تنقين . لا الماء تكدرين . ولا الشارب تمنعين . رأسك في الماء وذنبك فى الطين . وقوله والزارعات زرعا . والحاصدات حصدا . والعاجنات عجنا . والخابزات خبزا . اهالة وسمنا . ان الأرض بيننا وبين قريش نصفين ولكن قريش قوم لا يعدلون . وقوله . والفيل وماأدراك ماالفيل . له زلوم طويل . إنّ ذلك من خلق ربنا الجليل . ولما كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فاني أشركت في الأمر معك فكتب النبي صلى الله عليه وسلم يقول له من محمد رسول الله الى مسيلمة الـكذاب أما بعد فانك لوسألتنى بياض هذه ماأعطيتك اياه * فمن ادعي أنه مؤمن بما يقوله هؤلاء وان اتبع الرسول في الشرائع مع مشاركته له في مشاهدة ذلك فهو فوقه فى التحقيق والعلم بالله لانه يأخـذ من حيث الملك الذى يوحي به الى الرسول فلا ريب ان هذا القول أعظم فرية من قول مسيلمة الكذاب لـكن هؤلاء لم يكونوا طائفـة ممتنعة يدا ويحاربون فيها المسلمين بل هم موافقون فى الظاهر على أنه لا رسول الا محمد صلى الله عليه وسلم وأكثر أتباعهم لا يعلمون ان هذا قول رأسهم * ثم منهم قوم منافقون لا يجهرون بذلك بين المسلمين كما كان مسيلمة يجهر بدعواه النبوة حتى كان مؤذنه يقول أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله * ومن هؤلاء من هو فى الباطن أكفر من المشركين فضلا عن أهل الـكتاب * ومنهم قوم يقرؤن الـكتب المتضمنة لذلك علانية وقد لا يفهمون مافيها من الـكفريات ﴿وقد قال لى أفضل شيوخ هؤلاء﴾ بالديار المصرية لما أوقفته على بعض ما فى هذا الـكتاب مثل هذا الموضع وغيره فقال هذا كفر وقال لى

في مجلس آخر هذا الكتاب عندنا من أربعين سنة نعظمه ونعظم صاحبه ما أظهر لنا هذه المصائب الا أنت *ومنهم طائفة قد لا يكونون متعمدين الكذب لكنهم ملبوس عليهم الضلالة بحيث يظنون ان الرسول لم يعلم الحقائق وانما علم الاعمال الظاهرة ويشركون في ذلك اخوانهم المتفلسفة في نحو ذلك وتجد هؤلاء لا يعتمدون في الامور العلمية والمسائل الخبرية عن الله وأسمائه وصفاته على كلام الله ورسوله وهذا من أصول الضلال التي وقع فيها أو في بعضها طوائف من أهل الزيغ والمنافقين * ومنهم طائفة يتأولون بعض هذه المقالات الكفرية اذا خاطبهم الجاهل الذي لا يفهم ما فيها أو يفوضون علمها الى الشيخ ويقولون الشيخ أعلم بما قال كأنه نبي معصوم مع كثرة ما في كلامه من الباطل والكذب والجهل وان لم يكن كفرا مع ما فيها من الكفر بل قول هؤلاء يتضمن تعطيل التوحيد وحقيقة الرسالة وهما أصلا الاسلام وقد يتضمن أيضا تعطيل الايمان بما في اليوم الآخر من الثواب والعقاب بل ويتضمن أيضا تعطيل ما جاءت به الرسل من الامر والنهي (فهذه أصول الايمان) في كل ملة وزمان الايمان بالله ورسله وباليوم الآخر والعمل الصالح قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين) وقال تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وفي حديث جبريل الذي في الصحيح من حديث أبي هريرة في مسلم ومن حديث عمر وهو طويل في أول مسلم قال ماالايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدي فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي *ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) ولما كان هؤلاء من اخوان القرامطة الفلاسفة الباطنية وأولئك بدلوا الاصول الثلاثة التي هي أصول السعادة في كل ملة الايمان بالله وباليوم الآخر والعمل

الصالح كما ذكر ذلك في سورة البقرة والمائدة فذكر الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين بقوله تعالى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي البقرة (فلهم أجرهم عند ربهم) فالقرامطة الذين يضاهئون الصابئة الفلاسفة والمجوس الثنوية حرفوا وعطلوا وحرفوا الايمان بالله وكذلك الايمان باليوم الآخر وكذلك العمل الصالح حتى جعلوا ما جاءت به الشريعة من أسماء الاعمال انما هي رموز واشارات الى حقائقهم كقولهم ان الصلاة معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج زيارة شيوخنا المقدسين وأمثال ذلك كان في كلام هؤلاء من التعطيل والتحريف للايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ما ضاهوهم به وكما ان مذهب القرامطة وإلحادها ونفاقها لم يكن يظهر ابتداء لمن اتبعهم من الشيعة بل كانوا أولئك يظنون انهم متبعون للشريعة وكان في الشيعة من البدعة ما والوهم عليه مع تمسك الشيعة بما هم عليه من الاسلام كذلك قول هؤلاء لا يظهر ابتداء لمن اتبعهم من مفرط في معرفة السنة من متجهم ضعيف في التصوف أو في التفقه بل يكون فيه من البدعة ما والاهم عليه وهو متمسك بما هو عليه من الاسلام ولكن المحققون منهم لطريقهم هم الذين يصيرون مثل القرامطة كما قيل لأفضل محققيهم وقد قرئ عليه الفصوص هذا يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا وقال لا فرق بين الزوجة والام عندنا ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا عليكم ولهذا تجد المحقق منهم يستحل المحرمات من الخمر والفواحش وترك الصلوات والكذب وموالاة اليهود والنصارى بل يكون أعظم شرا في الباطن من اليهودي والنصراني المتمسك بشريعته المبدلة المنسوخة ولكن في اليهود والنصارى من هو شر منهم لموافقته لهم على هذا الالحاد ولما كانت القرامطة انما لبسوا على الناس بدخولهم من باب موالاة أولياء الله من أهل البيت كذلك دخل هؤلاء من باب موالاة أولياء الله ولما كان في غلاة الشيعة من يعتقد نبوة علي أو ألوهيته وكان أيضا في غلاة المتنسكة من يعتقد في بعض المشايخ الالهية أو نبوة كان هؤلاء كذلك وزادوا على ذلك حيث جعلوا خاتم الأولياء أعلى من جميع الانبياء والرسل حتى خاتم الرسل وجعلوا الالهية في كل شيء. ولما كان للقرامطة في الدعوة مراتب كذلك لهؤلاء في إلحادهم فأول ذلك زعمهم ان الولاية أفضل من النبوة والنبوة أفضل من الرسالة وينشدون

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسول ودون الولي

وهذا مما يبوحون به لعوامهم ويناظرون الناس عليه ويقولون ولاية النبي أفضل من نبوته ونبوته أفضل من رسالته لان ولايته اتصاله بالله والنبوة اخبار الحق له والرسالة تبليغه للناس والاول أرفع (فهذه مقدمة) ثم يقولون والولاية باقية الى يوم القيامة وتلك الولاية بعينها التي كانت للرسول هي باقية في أمته فتارة يقولون هي في كل زمان لشخص وتارة يقولون هي لخاتم الاولياء وهؤلاء قد يعظمون الامام أحمد جداً والشيخ عبد القادر جداً فان ابن عربي يعظم هذين جداً وينتسب في الخرقة الى الشيخ عبد القادر وهم يغلون في ذلك حتي انه كان كثير من شيوخهم له غلو في الشيخ عبد القادر فاخذ يفسر ماينقل عنه من أنه قيل له ياسيد الخلق بعد الحق. وأصحابه المقتصدون يفسرون ذلك بسيد أهل زمانه فزعم هذا الشيخ انه سيد الخلق مطلقا بناء على أن الولاية المحمدية قائمة به ومن اتصف بها كان السيد مطلقا وجرى هذا بمجلس كنت فيه وكان فيه أحد المشايخ من أولاد الشيخ عبد القادر وهو رجل مسلم لايعتقد شيأ من هذا لكن ذكر صاحب المجلس هذا عن ذلك الشيخ الغالي وأن آخر رد عليه وكان هذا الراد قد اعتدى علينا. فقلت الصواب مع هذا الراد كائنا من كان فان الحق يجب اتباعه من كل أحد والباطل يجب رده على كل أحد وهذا باطل مايقوله مسلم فان الولاية القائمة بالنبي صلى الله عليه وسلم هي بعينها لاتنتقل الى أحد وأما مثلها فلم تحصل لأبي بكر وعمر ولا لأحد من الانبياء والرسل فضلا عن أن تحصل للشيخ عبد القادر أو غيره وهذا من جنس ماتدعيه الرافضة الامامية من العصمة في عليّ وغيره ويجعلونهم مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بالشام طائفة منهم سألوا مرة أبا البقاء خلف بن يوسف النابلسي الشيخ المحدث المشهور فقالوا يا زين الدين أنت تقول ان مولانا أمير المؤمنين عليا ما كان معصوما فقال ما أخفيكم شيئا وكان يقول مثل هذا كثيرا أبو بكر وعمر عندنا خير منه وما كانا معصومين (وأقبح من غلو هؤلاء) ما كان عليه المتسمون بالموحدين في متبوعهم الملقب بالمهدي محمد بن التومرت الذي أقام دولتهم بما أقامها به من الكذب والمحال وقتل المسلمين واستحلال الدماء والاموال فعل الخوارج المارقين ومن الابتداع في الدين مع ما كان عليه من الزهد والفضيلة المتوسطة ومع ما ألزمهم به من الشرائع الاسلامية والسنن النبوية فجمع بين خير وشر لكن من أقبح ما انتحلوه فيه خطبتهم له على المنابر بقولهم الامام المعصوم والمهدي المعلوم . وبلغني أن بعض عقلاء خلفائهم جمع العلماء

فسألهم عن ذلك فسكتوا خوفا لانه كان من تظاهر بانكار شيء من ذلك قتل علانية ان أمكن والا قتل سراء ويقال انهم قتلوا القاضي أبا بكر بن العربي والقاضي عياضا السبتي وغيرهما وجهالهم يغلون في ابن التومرت حتى يجعلونه مثل النبي صلى الله عليه وسلم وينشدون

اذا كان من بالشرق في الغرب مثله * فلاواله المشتاق أن يتحيرا

وهم يقولون في الخطبة الذى أيد بالحكمة فكان أمره حتما واكتنف بالعدل اللائح والنور الواضح الذي ملأ الارض فلم يدع فيها ظلاما ولا ظلما ﴿ وقد اتفق المسلمون ﴾ على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتم على الاطلاق الا الرسل الذين قال الله فيهم (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وأما من دونهم فيطاع اذا أمر بما أمروا به وأما اذا أمر بخلاف ذلك لم يطع كما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصي أميرى فقد عصاني) وفي الصحيحين أيضا عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث أميرا على سرية قال على المرء السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية الله فاذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة وقد قال الصديق رضي الله عنه لما تولى . أيها الناس القوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق . والضعيف فيكم القوى عندي حتى آخذ له الحق . وقال أطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ﴿ وبلغني ﴾ ان ذلك المستخلف لما جمع العلماء وسألهم عن قولهم المعصوم وأمسك الا كثرون قام بعضهم فقال قد أجمع المسلمون وأهل السنة أو العلماء أو كما قال على أن خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وأجمعوا انه لم يكن معصوما وانفض المجلس على بطلان قولهم المعصوم وأزيلت من المنابر إما من ذلك المجلس أو غيره وقد اتفق أئمة الدين على أنه لامعصوم فى الامة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم النبي معصوم والولي محفوظ ان أراد بالحفظ مايشبه العصمة فهو باطل وهذا باب دخل منه الضلال على طوائف ضاهوا النصرانية كما قال تعالى (إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا ليعبدوا إلها واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فكانت تلك عبادتهم) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولا نشرك به

شيئا) هذا حق الخالق (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وهذا حق المخلوق (فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فتارة يجعلون في المعظمين من البشر نوعا من الالهية وهذا قد ظهر قبحه وبطلانه أكثر من القسم الثاني وهو أنهم يضاهون بالرسل المعظمين من غير الرسل وكل من هذين خلل فى الشهادتين اللتين هما أصل الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين والمرسلين (وأما الغلاة) من الرافضة وأشباههم الذين يصرحون بعصمة من يعظمونه من الأئمة والمشايخ والعلماء فضلالهم أظهر من ضلال طائفة أخرى هم لا يقولون انهم معصومون لكن يعاملونهم معاملة المعصوم حتى قد يعادى أحدهم من يقول عن أحدهم انه أخطأ وان كان القائل معظما لمن قال ذلك فيه مكرما له مجلا له ولم يقل ذلك على وجه الانتقاص * ولكن البيان انه لا معصوم الا رسول الله وان من سواه يصيب ويخطئ بل قد يستحل عقوبته أو أذيته للقول الذي أجمع أئمة الدين على انه الحق الذي يجب اعتقاده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق في تعبير الرؤيا أصبت بعضا وأخطأت بعضا والحديث فى الصحيحين وكما قال صلى الله عليه وسلم لما ذكرت له سبيعة عن أبي السنابل بن بعكك انه قال ما أنت بناكحة حتى تعتدى أبعد الاجلين فقال كذب أبو السنابل حللت فانكحي وهذه الفتيا قد أفتى بها علي وابن عباس * وقد ثبت في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر) وقال (ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه) وفى الترمذي (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر) وقال ابن عمر ماسمعت عمر يقول لشيء كذا وكذا الا كان كما كان يقول وقال علي كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر ومع هذا فقد كان الصديق الذى هو أفضل منه يقومه في أشياء كثيرة كما قومه يوم صلح الحديبية ويوم موت النبي صلى الله عليه وسلم بل كان آحاد الناس يبين له الصواب فيرجع الى قوله كما راجعته امرأة في قوله لئن بلغني أن أحدا زاد صداقه على صداق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته الا رددت الفضل فى بيت المال فقالت له امرأة لم تحرمنا شيئا أعطانا الله اياه وقرأت قوله تعالى (وآتيتم احداهن قنطارا) فرجع الى قولها وامثال هذا (ولما كان) أهل العراق يحتجون على الشافعي بقول علي وعبد الله جمع كتاب اختلاف علي وعبد الله وذكر كثيرا من المسائل التى ترك الناس فيها قولهما والسنة بخلاف ذلك وأعظم

الناس موافقة للسنة أبو بكر الصديق فانه لايكاد يحفظ له مسئلة يخالف فيها النص كما حفظ لغيره من الخلفاء والصحابة ومع هذا فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا كله لايتنازع فيه احد من أهل العلم والدين لكن ابتلي المسلمون بجهال وضلال يدعون الحقائق والاحوال وهم لم يعرفوا معرفة عموم المسلمين من النساء والرجال (وأما الرسول) صلى الله عليه وسلم فعصمته فيما استقر تبليغه الرسالة باتفاق المؤمنين كما قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد* وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) وليس هذا موضع ذكر تنازع الناس هل كان الالقاء في السمع أو في اللفظ اذ لانزاع بين الائمة في انه لايقر على ما هو خطأ في تبليغ الرسالة فان مقصوم الرسالة لايحصل مع تجويز هذا (واما) تنازع الناس في غير هذا كتنازعهم في وقوع الخطأ والصغائر فانهم أيضا لايقرون على ذلك فاذا قيل هم معصومون من الاقرار على ذلك كان في ذلك احتراز من النزاع المشهور بل اذا كان عامة السلف والائمة وجمهور الامة يجوزون ذلك على الانبياء ويقولون هم معصومون من الاقرار على الذنوب ويقولون وقوع ما وقع انما كان لكمال النهاية لا لنقص البداية فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين كما دل الكتاب والسنة والآثار على ذلك وما في ذلك من التأسي والاقتداء بهم فكيف بغيرهم لكن غيرهم ليس معصوما من الاقرار على خطأ إذ أفضل الخلق بعد الانبياء الصديقون ولا يقدح في صديقيتهم وقوع الخطأ منهم بل لولا ذلك لكان الصديق بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم والذين يغلون في هؤلاء هو ان قصد تعظيمهم بذلك فيه غض ونقص بمن هو خير منهم وهم الانبياء والرسل كما ان الذي يغلو في الانبياء والرسل يكون غلوه عيبا وغضا بالالوهية قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) الى قوله تعالى (لن يستنكف

المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وهؤلاء يسبون الله كما كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموهم فقد سبوا الله مسبة ماسبه بها أحد من البشر وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يجعلون له ولدا وشريكا وهو يعافيهم ويرزقهم وفي الصحيح أيضا عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه إياي فقوله ان لي ولدا وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون عليّ من اعادته والله سبحانه وتعالى له حقوق لا يشركه فيها أحد ورسله لهم حقوق لا يشركهم فيها غير الرسل والاقرار بهذين هو أصل الاسلام فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئا كما في الصحيحين عن معاذ بن جبل قال * قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم وقد أخبر الله سبحانه عن كل من المرسلين كنوح وهود وصالح انه قال ﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ وقال ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ وقال ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ﴾ فالطاعة لله ولرسله المبلغين عنه كما قال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ وأما الخشية والتقوى فلله وحده وقال تعالى ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ فالتسبيح لله وحده والتعزير والتوقير للرسول والايمان بالله ورسوله وقال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقال تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون) وقال (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وقال عن ابراهيم (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) وقال تعالى (واذ كروا نعمت الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض

وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) وقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ومثل هذا في القرآن كثير بل هذا هو أصل المقصود بالقرآن وأما الرسول فقد قال تعالى (ألنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)وقال تعالي (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وقال تعالي (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقال تعالى (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) ففي التوكل قالوا حسبنا الله ولم يقولوا ورسوله وفي الايتاء قالوا سيؤتينا الله ورسوله لان الايتاء المحمود لا بد ان يكون مما أباحه الرسول وأذن فيه مبلغا عن الله والا فمن أوتي ملكا أو مالا غير مأذون له فيه شرعا كان معاقبا عليه وان جرت به المقادير اذ يجب الفرق بين الايتاء الكوني والديني كما يجب الفرق بين القضاء الكوني والديني والامر الكوني والديني والحكم الكوني والديني والارادة الكونية والدينية والكلمات الكونية والدينية والاذن الكوني والديني والبعث الكوني والديني والارسال الكوني والديني وأشباه ذلك مما دل القرآن على الفرق بينهما فما كان موافقا للشريعة التي بعث بها رسوله فهو الدين الديني الذي يقوم به المؤمنون وما كان مخالفا لذلك وان كان قدره الله ويكون شرا في حق صاحبه وعقوبة وكان عاقبته فيه عاقبة سوء فان العاقبة للمتقين ولاحجة لأحد بالقدر بل المحتج به حجته داحضة والمعتذر به عذره غير مقبول وقال تعالي (لاتجدقوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أوأبناءهم أواخوانهم أوعشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألاإن حزب الله هم المفلحون) وقال تعالى (يسألونك عن

الانفال قل الانفال لله والرسول) وقال تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) الآية وقال تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الرسول فان الله شديد العقاب) وقد ذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن فهذا وأمثاله من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وأما المؤمنون وولاة الأمور من العلماء والأمراء ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك فلهم حقوق بحسب مايقومون به من الدين فيطاعون في طاعة الله ويجب له من النصيحة والمعاونة على البر والتقوى وغير ذلك ماهو من حقوقهم ولعموم المؤمنين أيضا من المناصحة والموالاة وغيرها من الحقوق مادل عليه الكتاب والسنة وليس هذا موضع تفصيل ذلك ﴿ وكل ﴾ من جعل غير الرسول بمنزلة الرسول في خصائص الرسالة فهو مضاه لمن جعل معه رسولا آخر كمسيلمة ونحوه وان افترقا في بعض الوجوه ثم يكون هؤلاء شرا اذا فضلوا متبوعهم على الرسول وقد يكون أتباع مسيلمة شرا اذا كان متبوع هؤلاء مؤمنا بالله ورسوله ولم يفضلوه على الرسول ﴿ ولما أظهرت ﴾ مافي كتب هؤلاء من النفاق والالحاد أخذ بعض من يقول بتفضيل الولي على الرسول ونحو ذلك يتأولون ذلك على ماتقدم ذكره من تفضيل ولاية الرسول على نبوته ورسالته حتى خاطبني في ذلك بعضهم وأخذ يتأول كلام ابن عربي في استفادة الانبياء والرسل من مشكاة ناره لأنه هو ولاية الرسول والرسل يستفيدون من مشكاة خاتم الرسل فيلزم أنهم يستفيدون من مشكاة خاتم الولاية فأخذت أولا أوقفه على ألفاظ ابن عربي المتقدمة التي كتبتها هنا حيث ذكر فيها أن هذا العلم الذي هو تحقيقهم وتوحيدهم وحقيقته التعطيل ليس الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ومايراه أحد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة خاتم الاولياء حتى أن الرسل لا يرونه متي رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعنى نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ماذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف بمن دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لايقدح في مقامه ولا يناقض ماذهبنا اليه فانه من وجه يكون أعلى ومن وجه يكون أنزل ﴿ فقد صرح في هذا الكلام ﴾ بعد أن زعم ان الانبياء والرسل لا يرونه الا من مشكاة خاتم الرسل وان الانبياء والرسل أيضا لا يرونه أيضا الا من مشكاة خاتم الاولياء لكونهم

أيضاً أولياء ثم أعاد قوله فقال فالمرسلون من كونهم أيضاً أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء (وهذا تصريح) بأن ولايتهم القاصرة بهم دون ولاية خاتم الاولياء ضد ما يتظاهرون به ثم صرح بأن خاتم الاولياء أعلى من خاتم الانبياء من وجه وصرح فيما بعد بأنه موضع لبنتين قال فهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الكلام كما هو آخذ عن الله في السر ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه فانه يرى الامر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا فزعم أنه مع متابعته له في الاحكام الظاهرة يأخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه وهذا مقام مسيلمة الكذاب ولا ريب أن هرون وان كان نبياً مع موسى فلم يكن معه بهذه المنزلة بل كان موسى يبلغه عن الله ما لم يكن يأخذه هرون عن الله وهذا الداعي أنه مع محمد فوق ما كان هرون مع موسى ولم يرض بذلك بل هذا في الاحكام الظاهرة فقط وهذا أيضاً مقام الذين اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله وهذا يزعم انه قد أوتي مثل ما أوتي رسل الله ثم قال وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ من فوق الملك الذي يوحى به الى الرسول (فزعم) انه يأخذ من فوق الملك والرسول يأخذ عن الملك فهو أعلى منه في أعلى القسمين وهو علم التحقيق والمعرفة كما قال في اثناء كلامه فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة وانما نظر الرجال الى التقدم في رتبة العلم بالله فهنالك مطلبهم وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها واذا كان متقدماً على الرسول في أعلى القسمين وهو العلم ومشارك له في العلم بالاحكام فمعلوم أن مسيلمة الكذاب لم يدع مثل هذا ولا المختار بن أبي عبيد الكذاب الذي ثبت فيه الحديث الذي في صحيح مسلم عن أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير فالمبير كان هو الحجاج والكذاب هو المختار بن أبي عبيد وقد قيل لابن عمر أو لابن عباس ان المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) وقيل لآخر ان المختار يزعم أنه ينزل عليه فقال صدق (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) فلما رأيت هذا لمن كان يعظمهم غاية التعظيم ويتأول كلامهم على ما تقدم انه هو حيث رآه قد صرح بالتفضيل على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء وانهم يأخذون من مشكاة ولاية نفسه لا من ولاية الرسول * ثم بينت له بطلان تلك الاصول بأن أحداً من

الرسل لم يأخذ عن الآخر هذا العلم لوجهين* أحدهما ان هذا الحاد وتعطيل لايعتقده الازنديق فكيف يعتقده رسول* الثانى ان الرسل أوحى الله اليهم وعلمهم ماعلمهم لم يحلهم فى ذلك على من لم يخلق بعد فقد تيقن ان قول هؤلاء يستلزم قول الدجال بخلاف مسيلمة ونحوه ممن تعمد الكذب وبخلاف القرامطة وما استلزم الباطل فهو باطل وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال وفي لفظ له اذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول اللهم اني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال وفى رواية طاوس سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عوذوا بالله من عذاب النار عوذوا بالله من عذاب القبر عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات وروى الاعرج عن أبي هريرة مثله وفي افراد مسلم عن أبي الزبير عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول قولوا اللهم انا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات قال مسلم بلغنى ان طاوسا قال لابنه دعوت بها في صلاتك قال لا قال أعد صلاتك وهذا الذي ذكره عن طاوس قول طاوس من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم يرون وجوب هذا الدعاء ولاريب انه أوكد الأدعية المشهورة فى هذا الموضع فان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه انه أمر بدعاء بعد التشهد الا هذا الدعاء وانما نقل عنه انه كان يقول أدعية مشروعة وأمره أوكد من فعله باتفاق المسلمين ولهذا كان الذين ذكروا هذا الدعاء فى هذا الموضع من المصنفين أعلم بالسنة وأتبع لها ممن ذكر غيره ولم يذكره وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر أصحابه بهذا التعوذ خارج الصلاة أيضا وقد جاء مطلقا ومقيدا فى الصلاة ومعلوم ان ما ذكر معه من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات أمر به كل مصل اذ هذه الفتن مجرية على كل أحد ولا نجاة الا بالنجاة منها فدل على ان فتنة الدجال كذلك ولولم تصب فتنته الا مجرد الذين يدركونه لم يؤمر بذلك كل الخلق مع العلم بان جماهير العباد لا يدركونه ولا يدركه الا أقل القليل من الناس المأمورين بهذا الدعاء وهكذا

انذار الانبياء اياه أممهم حتى أنذر نوح قومه يقتضي تخويف عموم فتنته وان تأخر وجود شخصه حتى يقتله المسيح بن مريم عليه السلام وكثير ما كان يقع في قلبي ان هؤلاء الطائفة ونحوهم أحق الناس باتباع الدجال فان القائلين بالاتحاد أو الحلول المعين كقول النصارى فى المسيح والغالية المالكة فى عليّ أو فيه وفى غيره كما ذهب الى ذلك طوائف من غلاة الشيعة وغلاة المتصوفة لا يمتنع على قولهم ان يكون الدجال ونحوه هو الله فكيف القائلون بالوحدة أو الاتحاد أو الحلول المطلق الذين يجعلون فرعون والعجل والاصنام وغير ذلك هى عين الحق كما تقدم ولقد كان يعرض لكثير من الناس إشكال في كون النبي صلى الله عليه وسلم قال في الدجال انه أعور وان ربكم ليس باعور فقال أي حاجة الي نفى ربوبيته بدليل العور مع كثرة الادلة التي يعلم بها كذبه وكذب كل بشر قال انه الله حتى ان طائفة من أهل الكلام اخوان أولئك الاتحادية فى النفى كالرازى كذبوا هذا الحديث وقالوا النبي صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحتاج في نفي الربوبية الي أن يدل أمته بهذا واعلم ان الحديث ثابت متفق عليه مستفيض من وجوه * منها حديث ابن عمر المتقدم الذى سقناه في مسلم وهو فى الصحيحين وفيه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثني على الله بما هو له أهل ثم ذكر الدجال فقال انى لأنذركموه مامن نبي الا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكنى أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور وفى لفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهرانى الناس فقال ان الله ليس بأعور ألا ان المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا قد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا انه أعور وان ربكم ليس بأعور بين عينيه ك ا ف ر وفى رواية مكتوب بين عينيه ك ا ف ر أي كافر وفي رواية الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه اتهجاه ك ا ف ر يقرؤه كل مسلم وفي الصحيح من حديث حذيفة ان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب * واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل انه أعور وان ربكم ليس بأعور لأن ذلك وحده هو الدليل على كذبه وامتناع دعواه وانه لولا العور لم تكن هناك أدلة أخرى * يبين ذلك أنه قال لأقولن لكم فيه قولا لم يقله نبي لأمته انه أعور وان ربكم ليس بأعور ولو كان هذا هو الدليل وحده على نفى

ربوبيته لم يعلم كذبه بدون ذلك لوجب على الأنبياء كلهم أن يبينوا ذلك لوجوب بيان كذبه عليهم بل قد ذكر مع ذلك أدلة أخرى منها انه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن ومنها ان أحدا منا لن يري ربه حتى يموت ومنها ان جنته نار وناره جنة كما في الصحيحين أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم عن الدجال حديثا ماحدث به نبي قومه انه أعور وانه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم به كما أنذر نوح قومه وفي الصحيح أيضا عن حذيفة وعقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فالماء الذي يراه الناس ماء فنار يحرق وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد وعذب من ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا فانه ماء عذب طيب ذكر صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الظاهرة فان فتنة الدجال أعظم فتنة تكون في الدنيا وفي الصحيح عن هشام بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال وهو يخرج بعد بلاء شديد يصيب الناس وشبهات عظيمة مع رغبة عظيمة ورهبة عظيمة ويتبعه أكثر الناس حتى اليهود مع دعواهم الكتاب هم أكثر الناس تبعا له كما جاء في الصحيح عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة (واذا كان) قوم موسى قد عبدوا العجل واعتقدوا انه الله وفيهم هارون نبي الله نهاهم فلم ينتهوا حتى رجع اليهم موسى وألقى الألواح والنصارى فهم متفقون على ان المسيح هو الله تعالى الله علوا كبيرا ويقولون مع ذلك هو ابن الله أيضا فكيف يمتنع على قولهم أن يقال ذلك في بشر وهؤلاء الذين يدعون انهم أكمل الناس معرفة بالتوحيد والتحقيق وأتبع الناس للشريعة وغيرها ويفضلون أنفسهم على الرسل ولا ريب انهم من أحذق الناس في الفلسفة ويقولون انه يظهر في كل صورة ويقولون ان عباد العجل ماعبدوا الا الله كما قال ابن عربي في الفصوص ثم قال هرون لموسى اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل فتجعلني سببا في تفريقهم فان عبادة العجل ظهرت بينهم فكان فيهم من عبده اتباعا للسامري وتقليدا له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع اليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشي هرون أن ينسب ذلك التفريق بينهم اليه فكان موسى أعلم بالأمر من هرون لأنه علم ماعبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قضى أن لا يعبد الا اياه وما حكم الله بشيء الا وقع فكان

عتب موسى أخاه هرون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء الى أن قال فكان عدم قوة ارداع هرون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما تسلط موسى عليه حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة وان ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت الا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية * (فاذا كان) الأمتان الكتابيتان اليهود والنصارى اعتقدوا ما تقدم في انسان وعجل و كذلك الغلاة في هذه الأمة المضاهون للكفار أهل الكتاب وهؤلاء الصابئة الفلاسفة وان انتسبوا الى الملل يقولون ماهو أبلغ من ذلك من ظهوره في كل صورة (فكيف) بمن هو أبعد من هؤلاء الطوائف عن العلم والايمان ولهذا لا يخلص من فتنة الدجال الا المؤمنون صرفا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وقد كان عندنا بدمشق) الشيخ المشهور الذي يقال له ابن هود وكان من أعظم من رأيناه من هؤلاء الاتحادية زهدا ومعرفة ورياضة وكان من أشد الناس تعظيما لابن سبعين ومفضلا له عنده على ابن عربي وغلامه اسحاق وأكثر الناس من الكبار والصغار كانوا يطيعون أمره وكان أصحابه الخواص به يعتقدون فيه أنه الله وأنه (أعني ابن هود) المسيح بن مريم ويقولون ان أمه كان اسمها مريم وكانت نصرانية ويعتقدون ان قول النبي صلى الله عليه وسلم (ينزل فيكم ابن مريم) هو هذا وان روحانية عيسى تنزل عليه (وقد ناظرني في ذلك) من كان أفضل الناس عند الناس اذ ذاك معرفة بالعلوم الفلسفية وغيرها مع دخوله في الزهد والتصوف وجرى لهم في ذلك مخاطبات ومناظرات يطول ذكرها جرت بيني وبينهم حتى بينت لهم فساد دعواهم بالاحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى وان ذلك الوصف لا ينطبق على هذا (وبينت) فساد مادخلوا فيه من القرمطة حتى ظهرت مباهلتهم وحلفت لهم ان ماينتظرونه من هذا لا يكون ولا يتم وان الله لا يتم أمر هذا الشيخ فأبر الله تلك الاقسام والحمد لله رب العالمين * هذا مع تعظيمهم لي بمعرفتي عندهم والا فهم يعتقدون ان سائر الناس محجوبون جهال بحقيقتهم وغوامضهم والا فمن كان عند هؤلاء يصلح أن يخاطب باسرارهم انما الناس عندهم كالبهائم حتى قال لي شيخ مشهور من شيوخهم لما بينت له حقيقة قولهم فاخذ يستحسن ويعظم معرفتي بقولهم وقال هؤلاء الفقهاء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقلت له هب ان الفقهاء كذلك أبالله أهذا القول موافق لدين الاسلام * فيتحير المجتهدون ويضطربون اذا شبه عليهم وقال لي بعض من كان يصدق

هؤلاء الاتحادية ثم رجع عن ذلك فكان من أفضل الناس ونبلائهم وأكابرهم ما المانع من أن يظهر الله فى صورة بشر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فى الدجال انه أعور وان ربكم ليس باعور فلولا جواز ظهوره في هذه الصورة لما احتاج الى هذا في كلام له وأخذ يحتج بذلك على امكان أن يكون ابن هود الله فبينت له امتناع ذلك من وجوه وتكلمت معه في ذلك بكلام طال عهدي به لست أضبطه الآن حتى تبين له بطلان ذلك وذكرت له ان هذا الحديث لا حجة فيه والله سبحانه قد بين عبودية المسيح وكفر من ادعي فيه الالهية بانواع غير ذلك كقوله تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) فأكل الطعام لازم لكل بشر وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا) وقال تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) وقال تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وأمثال ذلك ﴿ واعلم ﴾ ان ما تذكره النفاة المدعون للتنزيه من المتفلسفة والمتكلمة على نفى كونه جسما أو جوهرا أو متحيزا أو منقسما أو كونه فى جهة أو متحركا ونحو ذلك لم يقدم شيئا من هذا العام ولا أوجب اعتقاد نفى الالهية فى المسيح والدجال فان هؤلاء بعينهم هم الذين يعتقدون الهية المسيح الدجال والمسيح بن مريم ونحوهما مع تصريحهم بوصف الرب بتلك الصفات السلبية وذلك انهم إما أن يقولوا تدرع اللاهوت بالناسوت وحل به أو ظهر فيه أو هذه مظاهر ومجالى الالهية أو نعات الحق أو نحو ذلك من مقالات الاتحاد ﴿ والذى شاهدناه ﴾ ان أحذق الناس فى الفلسفة والنفى والتنزيه كان أتبع الناس لهؤلاء الاتحادية اذهم بزعمهم يجمعون بين التنزيه والتشبيه في كل مايصفونه به حتى وصفوه بكل عيب وكل نقص وكل صفة لمحدث ﴿ كما قال صاحب الفصوص ﴾ ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات واخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم الا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها الى آخرها وكلها حق له كما هي صفات المحدثات حق للحق وقال أيضا ومن اسمائه الحسنى العليّ (على من) وماله ثم الا هو فهو العلي لذاته (أو عن ماذا) وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها وليست الا هو ﴿ الى ان قال ﴾ فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من

أسماء المحدثات ﴿ الى ان قال ﴾ ومن عرف ماقررناه في الاعداد وان نفيها عين اثباتها علم ان الحق المنزه هو الخلق المشبه وان كان قد تميز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق والامر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر والولد عين أبيه فما رأى يذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة انسان فظهر بصورة لا بحكم ولد من هو عين الوالد وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه ﴿الى ان قال﴾ فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الامور الوجودية والنسب القدمية بحيث لا يمكن ان يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا لمسمي الله خاصة ﴿ فصرح ﴾ بان الحق المنزه هو الخلق المشبه ﴿ وصرح ﴾ بانه المنعوت بكل نعت مذموم وممدوح ﴿ وصرح ﴾ بانه أبو سعيد الخراز وغيره من اسماء المحدثات ﴿ كما صرح ﴾ بان المسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو وقال أيضا اعلم ان التنزيه عند أهل الحقائق هو في الجناب الالهي عين التحديد والتقييد فالمنزه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب ولكن اذا أطلقناه وقالا به فالقائل بالشرائع المؤمن اذا نزه ووقف عند التنزيه ولم ير غير ذلك فقد أساء الادب وكذب الحق والرسل وهو لا يشعر ويتخيل انه في الحاصل وهو في الفائت وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض وقد علم ان ألسنة الشرائع الالهية اذا نطقت عن الحق تعالى لما نطقت به انما جاءت به في العموم على المفهوم الاول وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوده ذلك اللفظ ثان ان كان في وضع ذلك اللسان كان للحق من كل خلق ظهور فهو الظاهر من كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم الا عن فهم من قال ان العالم صورته وهويته ﴿ الى أن قال ﴾ وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ماظهر في الباطن بنفسه لما ظهر من صور العالم بنسبة الروح المدبر للصورة فيوجد في حد الانسان مثلا ظاهرة وباطنة وكذلك كل محدود فالحق تعالى محدود بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا يعلم حدود كل صورة منها الا قدرما حصل لكل عالم من صورة فكذلك يجهل حد الحق فانه لا يعلم حده الا بعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فحد الحق محال وكذلك من شبهه ومانزهه فقد قيده وحدده وما عرفه ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الاجمال لانه يستحيل ذلك على التفصيل

لعدم الاحاطة بما في العالم من الصور فقد عرفه مجملا لا على التفصيل وكذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس فقال من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم) أي للناظرين (انه الحق) من حيث انك صورته وهو روحك فانت له كالصورة الجسمية لك وهو لك كالروح المدبر لصورة جسدك والحد يشمل الظاهر والباطن منك فان الصورة الباقية اذا زال عنها الروح المدبر لها لم تبق انسانا ولكن يقال فيها انها صورة تشبه صورة الانسان فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أوحجارة ولا ينطبق عليها اسم انسان الا بالمجاز لا بالحقيقة وصور العالم لا يمكن زوال الحق عنها أصلا فحد الالوهية له بالحقيقة لا بالمجاز كما هو حد الانسان اذا كان حيا وكما ان ظاهر صورة الانسان تثني بلسانها على روحها ونفسها والمدبر لها كذلك جعل الله صورة العالم تسبح بحمده ولكن لا نفقه لتسبيحهم لانا لا نحيط بما في العالم من الصور فالكل ألسنة للحق ناطقة بالثناء على الحق ولذلك قال الحمد لله رب العالمين أي اليه ترجع عواقب الثناء فهو المنزه المثني عليه وأنشد

فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا * وان قلت بالتشبيه كنت محددا
وان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت إماما في المعارف سيدا
فمن قال بالاشفاع كان مشركا * ومن قال بالافراد كان موحدا
فاياك والتشبيه ان كنت ثانيا * وإياك والتنزيه ان كنت مفردا
فما أنت هو بل أنت هو وتراه في * عين الأمور مسرحا ومقيدا

﴿الى أمثال هذا الكلام الذي يقوله هؤلاء الدجالون الكذابون﴾ ويقولون تارة ان النبي صلي الله عليه وسلم اعطاهم إياها وتارة انهم أخذوه عن الله بلا واسطة والنبي صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل يستفيدون منهم وتارة انهم والحق أخذوه من معدن واحد ومع هذا فقد جرى للمؤمنين مع أتباعهم من المحنة ما هي أشهر المحن الواقعة في الاسلام ومعلوم ان هذه المحنة هي نتيجة محنة الدجال بل هذه النتيجة أقرب الى محنة الدجال من غيرها الا ان النزاع في مثل دعوى الدجال قد سموا ابعد وقد انتصروا غاية الانتصار لمن هو قول فرعون والدجال وعادوا من خالفهم ما هو من أعظم معاداة الدجال مع معرفة حذاقهم بانه قول فرعون وقوله إنا على مذهب فرعون وزعمهم مع ذلك انهم أكمل الخلق وأعظمهم معرفة وتحقيقا وتوحيدا * فاذا كان هذا حال بني آدم عوامهم وخواصهم من جميع الاصناف

في الانسان ظهر ان ماذكره النبي صلى الله عليه وسلم من الدلائل على نفي ربوبية الدجال كان من أحسن الادلة وأبينها وأنفعها للعامة والخاصة وظهر بهذا ان غيره من الانبياء وان لم يقلها لكون الادلة متعددة فالذى قالها كان أعلم بما ينفع الناس وأحرص عليهم وأرحم بهم كما قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) فان الدليل الواضح عندهم اضطراب القلوب واشتباه الحق وافتتان كثير من الخلق أوأ كثرهم ينفع ويظهر الحق ويدفع الباطل مالا تسمه الادلة الحسية وان كانت قطعية يقينية والمقصود من الادلة والاعلام هدى للعباد وارشادهم فكل ما كان من الادلة أدل على الحق وأنفع للخلق كان أرجح مما ليس كذلك والحمد لله الذي بعث الينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة ﴿فهذا هو الوجه الاول﴾ وبيان ان أحدا من الناس لا يرى الله في الدنيا بعينه لا في صورة ولا في غير صورة وان الحديث الذي احتج به الاتحادية على تجليه لهم من الصور في الدنيا يدل على نقيض ذلك

﴿الوجه الثاني﴾ انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضامون فى رؤية الشمس صحوا ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضامون فى رؤية القمر صحوا ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر ولو كانت الرؤية هى تجليه فى صور المخلوقات كلها كما يقوله الاتحادية لقال لهم إنكم ترون ربكم فى هذه الصور اذهم لا يرتقبون عندهم في القيامة تجليا غير هذا التجلى الذى في الدنيا وانما تفاوت الناس عندهم بقدر تجرد أنفسهم حتى يشهدوا الوجود السارى فى كل شيء لا فرق في ذلك عندهم بين دار ودار وهذا أيضا حجة على من يجعل انه لا مانع للرؤية الا عدم الادراك فى العين فانه على قوله لا فرق وعلى كل من القولين فانهم لا يرونه كما يرون الشمس والقمر وان كان هذا تشبيها للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئي اذ كاف التشبيه دخلت على ما المصدرية فانه على قول الاتحادية هو موجود فيهم كوجوده في الشمس والقمر والكواكب والجبل والحيوان والنبات فيمتنع أن يروه كما يرون الشمس والقمر مباينا لهم منفصلا عنهم وعن غيرهم من الموجودات وعلى قول أولئك لا يرونه مواجهة عيانا وانما الرؤيا من جنس العلم أو نوع منه وقولهم قول الاتحادية في رؤية الوجود المطلق * وفى البخاري انكم ترون ربكم عيانا ﴿ومما يبين ذلك﴾ انه ليس فى الموجودات

المرئية فى الدنيا أعظم من هذين ولا يمكن أن يراهما الانسان أكمل من الرؤية التى وصفها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يبين ان المؤمنين يرون ربهم أكمل مايعرف من الرؤية وعلى قول هؤلاء انما يري أخفى مايكون أو يرى على وجه تستوي الموجودات كلها فى رؤيته فانهم اذا جعلوه الوجود المطلق ووصفوه بالسلوب كانت الرؤية من جنس العلم ان هذا ونحوه لا يرى بالعين وان جعلوه الوجود الذي في المخلوقات جعلو رؤيته كرؤية كل موجود خفى وجلي وعلى التقديرين فهم مخالفون للنصوص السلبية التى احتجوا بها

﴿ الوجه الثالث ﴾ انه قال لا تضامون في رؤيته ولا تضارون فى رؤيته أي لا يلحقكم ضير ولا ضيم وروي لا تضارون ولا تضامون أى لا يضر بعضكم بعضا ولا ينضم بعضكم الى بعض كما جرت عادة الناس بالازدحام عندرؤية الشيء الخفي كالهلال ونحوه وهذا كله بيان لرؤيته فى غاية التجلى والظهور بحيث لايلحق الرائى ضرر ولا ضيم كما يلحقه عند رؤية الشيء الخفى والبعيد والمحجوب ونحو ذلك وعلى قول هؤلاء الجهمية الأمر بالعكس فانهم اذا قالوا يتجلى فى كل صورة من صورة الذباب والبعوض والبق والهلال والسهاء ونحو ذلك من الاجسام الصغيرة فمعلوم مايلحق فى رؤيتها من الضيم لا سيما وعند صاحب الفصوص لايراه انما يري الذوات التى يتجلى فيها وأما اذا جعل الرؤية من جنس العلم فجنس هذه لايبقى فيها ضرر ولا ضيم ولا يلحق فيها زحمة ولا مشقة فتكون بين ذلك مما هو علم أو كالعلم عديم الفائدة بعيد المناسبة لايليق بمن هو من آحاد الناس فضلا عن أكمل الخلق وأعظمهم معرفة وبيانا صلي الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

بحمد الله تعالى قد تم طبع هذا الكتاب المسمى بغية المرتاد فى الرد على المتفلسة والقرامطة والباطنية أهل الالحاد القائلين بالحلول والاتحاد وهو المنعوت بالسبعينية الذى ألفه شيخ الاسلام ابن تيمية * وقد اعتنينا بتصحيه غاية الاعتناء فجاء بحمد الله تعالى فى حلة تسر الناظرين

فهرست

﴿ كتاب بغية المرتاد المنعوت (بالسبعينية) لشيخ الاسلام ابن تيمية ﴾

صحيفه

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

